17

أنا أفكر
iThink
magazine مجلة

لأن اليقيـــن حماقــــة



بشرية فائقة

الأول من شاكلتنا

الدفن المدني إرادة يتوجبُ احترامها لدى غير المؤمن

كلمة رئيس التحرير

ديكتاتورية أنظمة دينية أم دينية الانظمة الديكتاتورية

مراقب حيادي لحال الدول التي تسمى مجازاً عربية أو اسلامية .
لا يستطيع الا أن يلاحظ التداخل الشبه تام بين الدين و الدولة و الشراكة و زواج المتعة بنهما حتى حد التوحد التام في حماية مصالح القائد و الشيخ و الأسرة الحاكمة بأمر الله أو الحاكمة بأمر الحزب أو الحاكمة بأمر الجماعة .
في تلك الدول التي ينخرها تعفن و فساد السلطات لا تستطيع إلا أن ترى سلطة دينية لها وزنها و حتى سطوتها على أمور البلاد و العباد في تلك البلدان .
حتى في أكثر الانظمة التي تسمي حالها علمانية ستجد أن دستورها يعتبر الإسلام هو المصدر الوحيد للتشريع و أن دين الرئيس القائد الخالد (يجب) أن يكون الإسلام (كما في سوريا كمثال)
سترى أن لفظ و تهمة (النيل من هيبة الدولة) أو (التعدي على ذات رئيس الدولة) أو (التعدي على الذات الملكية) أو (التعدي على الذات الإلهية أو المحمدية) هي تهم جاهزة للاستخدام مع أي صوت حر يحاول خرق تلك التركيبة (الحكمدينية) و نقدها .
عندما يصبح اعتقال الأقلام التي تنقد سلبيات مجتمع غارق في السلبيات و الغباوات المجتمعية هو أمر عادي و مقبول و محمي بنصوص قانونية .
فلن يصبح النظر الى تلك الحكومات و رؤية تزاوج الدين و الحكم أمراً صعباً .
أنه الدين بكل بساطة أصل كل الشرور .
أنه الدين الذي يسمونه حكومات في بلاد العرب أوطاني و في بلاد الإسلام هو الحل .
أنه الدين الذي يحكم فعلاً .
و شئتم تسميته مملكة أو أمارة أو جمهورية فلن يغير هذا من الأمر شيئاً .
و جل ما تقوم به تلك الحكومات الدينية بامتياز هو ممارسة القمع و التدخل في كل صغيرة و كبيرة و ملاحقة كل مفكر و حر على أرضها و تحويل شعوبها الى قطعان غبية لا تملك من أمرها شيئاً
أنه اصل الشرور و اصل التخلف و أصل ابتعاد تلك المناطق عن الحضارة .
شعوبها عشقت العبودية لحد أنها اختلط عليها عبادة إلاهها الخفي المختبئ في السماء مع عادة قائدها الخالد أو ملكها الملهم أو أميرها الذي لا يشق له غبار .
فأصبح لا حدود واضحة بين القائد و الله و الوطن و اختزل الثلاثة في مسخ يطلق عليه لفظ (حكومة أو حكم) .
في نهاية مقدمتي أريد أن أذكر أن صديقي بن باز لا يزال معتقلاً في سجون الأحتلال البدوي الأميري الكويتي .
و أن تهمته التي هزت عرش الله و الأمير هي بعض المقالات التي تطرح وجه نظر مختلفة لا تتماشى مع ثقافة العبادات التي لا تنتهي .

أنت حر صديقي داخل أسوار سجنك
و هم العبيد خارجها.
كن بخير صديقي
و عيشوا سعداء
يا كل أصدقائي

عيشوا سعداء
أيمن غوجل



i-think-magazine.blogspot.com
www.ithinkmag.net
facebook.com/I.Think.Magazine



جون لينون



(أوكتوبر ١٩٤٠ - ٨ ديسمبر ١٩٨٠ م)

ولد جون لينون في عائلة عادية (غير الموسيقية) في ٩ أكتوبر ١٩٤٠، وبدأ مسيرته الفنية كعضو في فرقة البيتلز في ليفربول بإنكلترا وكان عازفا ماهرا لآلة الجيتار ومن ثم تعلم العزف على البيانو ، وأغلب قصائد أغاني الفرقة كانت من تأليفه ، وبعد توقف الفرقة عام ١٩٧٠ رحل مع زوجته اليابانية يوكو أونو إلى أمريكا ليكمل من هناك مسيرته الفنية بعد تشتت رفاق الأمس ولكنه بدأ باستعادة مجده من جديد وبأغاني جديدة أطلقها بمفرده هذه المرة واستمر بنجاحاته ، إلا انه وبعد عشرة سنوات من مكوثه بأمريكا تعرض للاغتيال وهو في طريقه إلى منزله بواسطة شخص يدعى مارك ديفيد تشابمان المختل عقليا والذي أنهى حياة لينون عام ١٩٨٠ وقبل أن يكمل عامه الأربعين .

يعتبر البعض ان جون لينون كان, إضافة إلى عبقريته الموسيقية, أقوى نشطاء اليسار ومعادي الحرب في اميركا في الوقت الذي اغتيل فيه, في نيويورك على يد مارك شابمان الذي قال انه كان يسمع في رأسه اصواتاً تأمره بقتل المغني العالمي الشهرة.

انتقل لينون الى أميركا مع زوجته يوكو اونو ليشارك في فعاليات اليسار الأمريكي ويلتقي جيري روبين وأعضاء آخرين من «اليسار الجديد» ويبدي استعداده للمساهمة في حملة جمع أموال وأصوات تأييد لحملات مناهضة الحرب من خلال حفلاته التي ستقام في العديد من الولايات. كان هذا في عام ١٩٧١ والذي اصدر فيه لينون ألبومه الشهير» تخيل». صعد هذا الألبوم وبشكل خاصة الأغنية الأولى التي تحمل نفس عنوانه, فوراً إلى القمة وجعلته أهم الفنانين الناشطين سياسياً في أميركا بلا منازع.

ورغم حماية الدستور له, ولقانونية نشاطاته, أثارت هذه الأخيرة قلقاً شديداً لدى أعضاء في الحزب الجمهوري من أن تؤدي حملته تلك إلى تنام حاد في الأصوات المضادة للحرب مما قد يعرض انتخاب نيكسون للخطر.

في شباط ١٩٧٢ أرسل السيناتور ستورم ثورموند مذكرة سرية يقترح فيها إلغاء إقامة لينون, وقد كشفت هذه المذكرة فيما بعد بطلب يستند إلى قانون حرية المعلومات. أضاف ثورموند ضرورة توخي الحذر أن لا يتسبب إلغاء تأشيرة إقامة لينون برد فعل جماهيري معاكس.

تعرض لينون بعد ذلك الى ملاحقة من قبل الشرطة الأمريكية الاتحادية (FBI) ومضايقات الأمن القومي (INS). في ١٩٧٥ استقال رئيس المجلس المسئول عن متابعة لينون في (INS) وابلغ فريق الرولنغ ستونز فيما بعد أن الحكومة الأمريكية كانت أكثر نشاطاً في محاولاتها طرد جون لينون إلى خارج البلاد مما هي لإبعاد مجرمي الحرب النازية!



كتبت مجلة تايم: «من بين كل ما ترك لينون, فأن أكثرها تأثيرا وأبقاها هو شخصية أعداؤه. إن مقياس عظمته هو انه في أعوام السبعين كان قد أرعب أكثر رجل في العالم سلطةً (....) لم يتمكن أي فنان غيره بمفرده من إنزال كل ذلك الخوف في من كان يفترض انه أقوى رجل في العالم. الأفكار, الأمانة, التفاني, الفكاهة والأغاني الحميمة الرائعة, كانت على ما يبدو هي الأقوى.

تخيل

«تخيل ان ليس هناك جنة
ليس الأمر صعباً..لو حاولت..
وان ليس هناك جهنم ايضاً
وما فوقنا ليس غير السماء
تخيل..لو ان الناس جميعاً
تعيش لهذا اليوم.

المسيحية سوف تذهب، وسوف تتلاشى وتتقلص، وأنا لا أعرف ما سوف يذهب أولا، ..الروك أند رول أو المسيحية



أبو العلاء المعري

(٩٧٣- ١٠٥٧م)

شاعر وفيلسوف وأديب عربي من العصر العباسي، ولد وتوفي في معرة النعمان في الشمال السوري وإليها يُنسب . لُقب برهين المحبسين بعد أن اعتزل الناس لبعض الوقت. اشتهر بآرائه وفلسفته المثيرة للجدل في وقته، وهاجم عقائد الدين، ورفض مبدأ أن الإسلام أو أدي دين آخر يمتلك الحقائق التي بزعمها حيث اعتبر مقال الرسل زورا. كذلك كان نباتيا يدعم حقوق الحيوان.

جده الأعظم كان أول قاضٍ في المدينة، وقد عرف بعض أعضاء عائلة بني سليمان بالشعر، فقد بصره في الرابعة من العمر نتيجة لمرض الجدري. بدأ يقرض الشّعرَ في سن مبكرة حوالي الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمره في بلدته معرة النعمان، ثم ذهب للدراسة في حلب وأنطاكية، وغيرها من المدن السورية، مزاولاً مهنة الشاعر والفيلسوف والمفكر الحر، قبل أن يعود إلى مسقط رأسه في معرة النعمان، حيث عاش بقية حياته، وآثر الزهد والنباتية، حتى توفي عن عمر يناهز ٨٦ عاماً، ودفن في منزله بمعرة النعمان.

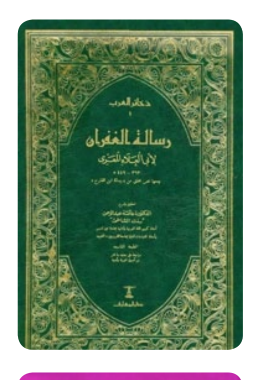
درس علوم اللغة والأدب والحديث والتفسير والفقه والشعر على نفر من أهله، وفيهم القضاة والفقهاء والشعراء، وقرأ النحو في حلب على أصحاب ابن خالويه، ويدل شعره ونثره على أنه كان عالماً بالأديان والمذاهب وفي عقائد الفرق، وكان آية في معرفة التاريخ والأخبار. وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة.

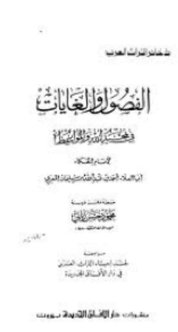
كان على جانب عظيم من الذكاء والفهم وحدة الذهن والحفظ وتوقد الخاطر، وسافر في أواخر سنة ٣٩٨ هـ ١٠٠٧م إلى بغداد فزار دور كتبها وقابله علماءها. وعاد إلى معرة النعمان سنة ٤٠٠ هـ ١٠٠٩م، وشرع في التأليف والتصنيف ملازماً بيته، وكان اسم كاتبه علي بن عبد الله بن أبي هاشم.

عاش المعري بعد اعتزاله زاهداً في الدنيا، معرضاً عن لذاتها، لا يأكل لحم الحيوان حتى قيل أنه لم يأكل اللحم ٤٥ سنة، ولا ما ينتجه من سمن ولبن أو بيض وعسل، ولا يلبس من الثياب إلا الخشن. ويعتبر المعري من الحكماء والنقاد.
كما سافر المعري إلى وسط بغداد لفترة، حيث جمع عدداً كبيراً من التلاميذ الذكور والإناث للاستماع إلى محاضراته عن الشعر والنحو والعقلانية. وإحدى الموضوعات المتكررة في فلسفته كانت حقوق العقل (المنطق) ضد إدعاءات العادات والتقاليد والسلطة.

أشهر أعماله هو رسالة الغفران الذي هو أحد الكتب الأكثر فاعلية وتأثيراً في التراث العربي، والذي ترك تأثيراً ملحوظاً على أجيال الكتّاب التي تلت. وهو كتاب يركز على الحضارة العربية الشعرية ولكن بطريقة تمس جميع جوانب الحياة الخاصة، ويحكي فيه زيارة الشاعر للجنة ورؤيته لشعراء الجاهلية العرب هناك، وذلك بعكس المعتقدات الإسلامية أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأكثر ما يثير الاهتمام في رسالة الغفران هو عبقرية المعري في الاستطراد، والفلسفة العميقة، والبلاغة المذهلة. بعد ظهور آراء ميغيل آسين بلاسيوس (Miguel Asín Palacios) يقول البعض بأن من الواضح أن

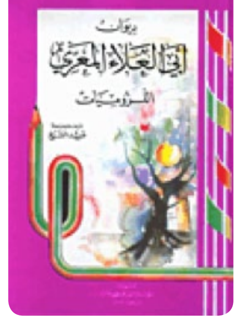






كتاب رسالة الغفران كان له تأثيراً على (أو حتى ألهم) دانتي أليغييري (Alighieri Dante) في كتابه الكوميديا الإلهية وذلك لأن الإثنان في كتابهما زارا الجنة وتحدثوا مع الموتى.

ثم يأتي كتاب «فقرات وفترات» أو «فصول وغايات»، وهو عبارة عن مجموعة من المواعظ. وهو من أكثر كتبه إثارة للجدل عبارة عن مجموعة شعرية مماثلة لأسلوب القرآن الكريم. ويفترض بعض العلماء أن المعري كتبها لإثبات أن لغة القرآن ليست معجزة، ولكنها تبدو كذلك بالنسبة للبعض بسبب تبجيلها لمئات السنين. ولكن ليس كل العلماء يتفقون مع هذا التفسير



كان المعري من المشككين في معتقداته، وندد بالخرافات في الأديان. وبالتالي فقد وصف بأنه مفكر متشائم وقد يكون أفضل وصف له هو كونه يؤمن بالربوبية. حيث كان يؤمن بأن الدين "خرافة ابتدعها القدماء" لا قيمة لها إلا لأولئك الذين يستغلون السذج من الجماهير. وخلال حياة المعري ظهر الكثير من الخلفاء في مصر وبغداد وحلب الذين كانوا يستغلون الدين كأداة لتبرير وتدعيم سلطتهم. وقد رفض المعري إدعاءات الإسلام وغيره من الأديان الأخرى مصرحاً:

أفيقوا أفيقوا يا غواة فإنما دياناتكم مكرٌ من القدماء

فلا تحسب مقال الرسل حقاً ولكن قول زور سطّروه

وكان الناس في يمنٍ رغيدٍ فجاءوا بالمحال فكدروه

دين وكفر وأنباء تقص وفرقان وتوراة وإنجيل

في كل جيل أباطيل، يدان بها فهل تفرد يوماً بالهدى جيل

قد المعري العديد من عقائد الإسلام، مثل الحج، الذي وصفه بأنه "رحلة الوثني". كما أعرب عن اعتقاده بأن طقوس تقبيل الحجر الأسود في مكة المكرمة من هراء الأديان الخرافية التي لم تنتج سوى التعصب الأعمى والتعصب الطائفي وإراقة الدماء لإجبار الناس على معتقداتهم بحد السيف

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت.... ويهود حارت والمجوس مضلله
اثنان أهل الأرض ذو عقل بلا.... دين وآخر ديّن لا عقل له

كريستوفر هيتشينز

(١٣ أبريل ١٩٤٩ - ١٥ ديسمبر ٢٠١١)
.كاتب صحفي أميركي بريطاني

ولد هيتشينز في مدينة بورتزماوس البريطانية وتخرج في جامعة أكسفورد في ١٩٧٠ وبدأ حياته العملية كصحفي في بريطانيا في السبعينيات وانتقل في وقت لاحق إلى نيويورك، وأصبح محررا مشاركا في مجلة فانيتي فير عام ١٩٩٢.

ولطالما اعتقل هيتشنز في التجمعات السياسية، وتم طرده مرة من حزب العمال البريطاني لمعارضته حرب فيتنام. وكصحفي ومراسل عسكري وناقد أدبي صنع هيتشنز لنفسه سمعة فريدة لحضور بديهته وانتقاده اللاذع لرموز عامة وذكائه المتقد.

اكتشف كريستوفر إصابته بمرض السرطان في يونيو/حزيران ٢٠١٠، وكتب حول تدهور صحته في عموده بمجلة فانيتي فير. وفي أغسطس/آب عام ٢٠١٠، كتب في مقال له للمجلة: «أحب صورة النضال.» وأضاف: «كنت أتمنى أحيانا أني لو عانيت من أجل قضية صالحة، أو مخاطرة بحياتي من أجل مصلحة الآخرين، بدلا من كوني مريضا يتعرض لخطر كبير.»

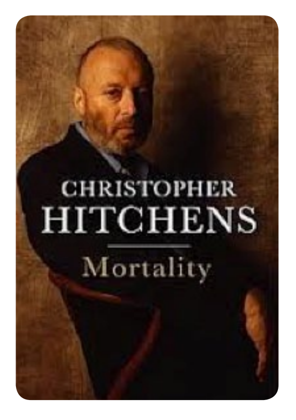
وفي حديثه لـ«بي بي سي» في نوفمبر/تشرين الثاني الماضي، تكلم عن تأملاته في الحياة التي عرف أنها ستنتهي عاجلاً. وقال:» أن تعرف أن حياتك محددة أكثر مما كنت تظن أنها كذلك، فهذا يجعل العقل أكثر تركيزا.»

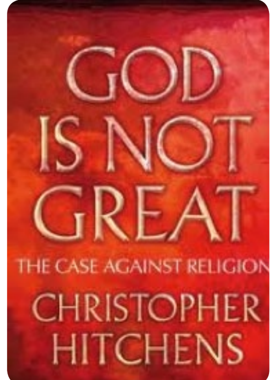
اكتسب شهرة واسعة لإشهاره الإلحاد، ولخوضه في حوارات مع رجال الكنيسة. كما عرف عنه أيضا حسه النقدي اللاذع، واستخدامه للغة بشكل لا يضاهى، وأناقته في الحوار وفي تقديم الأفكار، مما اجبر محاوريه على احترامه دوما

قال رئيس الوزراء البريطاني الأسبق توني بلير: «لقد كان كريستوفر هيتشنز شخصا كاملا، ومزيجا رائعا من كاتب وصحفي ومحاور وشخصية فريدة.»

وأضاف: «كان لا يخشى شيئا في سعيه وراء الحقيقة وأية قضية كان يؤمن بها. ولم يكن هناك أي معتقد يتمسك به ولم يقم بالدفاع عنه بعاطفة والتزام وبراعة

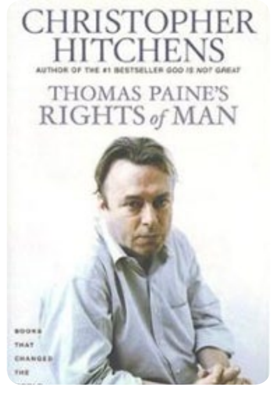






وقف هيتشنز بجوار الكاتب الإيراني سلمان رشدي خلال فترة الغضب التي أعقبت نشر روايته آيات شيطانية

كان له عمود في عدد من المجلات بالإضافة إلى كتابات في النقد الأدبي، وهو معروف بإلحاده ونقده للأديان، وفي عام ٢٠٠٧ طرح كتابا هاجم فيه الديانات الرئيسية وقال ان الدين هو اصل ومصدر الطغيان وان الكثير من الشرور التي شهدها العالم ارتكبت باسم الدين ومن كتبه كتاب «الرب ليس عظيمًا» الذي انتقد فيه الديانات الإبراهيمية بالإضافة إلى الديانات التي لم تكن تُنتقد في الأوساط الغربية مثل الهندوسية، كما أنه معروف بمعاداته ونقده للصهيونية



لا تستمد اللياقة البشرية من الأديان .إنها تسبقها

الإسلام لا يمكن أن يكون دين سلام لأنه ببساطة ليس هناك شيء اسمه دين السلام، الدين والسلام هما شيئان متنافران لأن الدين هو عبارة عن حرب على المنطق

ما يُقدّم بدون دليل يُرفض بدون دليل

رسالة كريستوفر هيتشنز إلى مؤتمر الملحدين الأمريكيين

مترجم من موقع الحوار

أعزائي اللادينيين

لا شيء يمكن ان يمنعني من الانضمام إليكم سوى خسارة صوتي (على الأقل صوتي الناطق)* والذي بدوره نتيجة صراع طويل أخوضه الآن مع شبح الموت. لا أحد يفوز بهذا الصراع مطلقا، على الرغم من إمكانية إحراز بعض النقاط والتقدم الجيد بينما يستمر الصراع. لقد وجدت بينما العدو يصبح مألوفا أكثر، إن كل المناجاة الخاصة من أجل الخلاص، النجاة والإنقاذ الخارقة للطبيعة تبدو لي جوفاء واصطناعية أكثر مما كانت عليه من قبل.

أمل أن أساعد في الدفاع وان أمرر الدروس عن كل هذا للسنوات القادمة، ولكن الآن وجدت ثقتي موضوعة بشكل أفضل في أمرين: مهارة وأساس العلوم الطبية المتقدمة، ورفقة عدد لا يحصى من الأصدقاء والعائلة وعلى وجه التحديد من يملكون تحصيناً منيعاً من التعازي الكاذبة للدين.

أنها هذه القوى من بين غيرها التي ستسرع مجيء اليوم الذي تقوم الإنسانية فيه بإعتاق نفسها من أغلال الذل والخرافة العديمة العقل. إن تضامننا الفطري، وليس بعض الطغيان من السماء، هو مصدر أخلاقياتنا وحسنا بالكرامة.

الحس الجوهري لكرامتنا يُهان يوميا. عدونا الثيوقراطي واضح وضوح الشمس. متلون في الشكل، يمتد من خطر الملالي المسلحين بالأسلحة النووية إلى الحملات الخفية لجعل العلوم-الزائفة الفاسدة تدرس في المدارس الأمريكية. لكن في السنوات القليلة الماضية، كانت هناك علامات مشجعة لمقاومة حقيقية وعفوية لهذا الهراء الهستيري. مقاومة تنكر حق المتنمرين والطغاة في أن يزعموا الزعم التافه بأن لديهم الله في جانبهم. كوني حقيقة كنت جزءا صغيرا من هذه المقاومة كان أعظم شرف في حياتي، أن نمط وأصل جميع الدكتاتوريات هو استسلام المنطق في وجه المطلقية والتخلي عن التحقيق الحرج والموضوعي.

الاسم الرخيص لهذا الوهم القاتل هو الدين، وعلينا أن نتعلم طرقا جديدة لمحاربته في الساحة العامة مثلما تعلمنا أن نحرر أنفسنا منه على الصعيد الشخصي.

أسلحتنا هي العقل الساخر أمام كل ما هو حرفي وجامد، العقل المنفتح ضد ما هو ساذج، والسعي الشجاع للحقيقة ضد القوى الرهيبة والدنيئة التي تحاول أن تضع حدودا للتحقيق (والتي تدعي بغباء بأن لدينا مسبقا كل الحقيقة التي نحتاج معرفتها). ربما فوق كل شيء، نحن نؤكد على الحياة فوق طقوس الموت والتضحية بالبشر ونحن خائفون، ليس من الموت الحتمي، لكن عوضا عن ذلك من الحياة البشرية الضيقة والمشتتة بالرغبة المثيرة للشفقة لتقديم التملق الطائش، أو الاعتقاد الموحش بأن قوانين الطبيعة تستجيب للنواح والتعاويذ.

كونهم ورثة الثورة العلمانية، الملحدون الأمريكيون لديهم مسؤولية خاصة للدفاع والتمسك بالدستور الذي يحرس الحدود بين الكنيسة والدولة. هذا أيضا، هو شرف وامتياز. صدقوني عندما أقول بأنني حاضر معكم، حتى لو لم أكن حاضرا جسديا (ومجازيا فقط «روحياً») اعزموا على بناء حائط السيد جيفيرسون للفصل. ولا تحتفظوا بالأيمان.

المخلص
كريستوفر هيتشنز

*خسر صوته بسبب المرض [المترجم].



نحن بحاجة لمساعدتكم للضغط على الحكومة الكويتية لإطلاق سراح بن باز

عبد العزيز محمد الباز، المعروف أيضا بإسم بنباز، ولد لأبوين مصريين سنة ١٩٨٥ في الكويت
حاصل على درجة البكالوريوس في التجارة شعبة اللغة الإنجليزية، وعمل محاسبا لشركة محلية في الكويت تسمى مرايا الخليج حتى ألقي القبض عليه.

ديسمبر ٣١, ٢٠١٢
اعتقلت الشرطة الكويتية بنباز، تم إيقافه من مكان عمله وزج به في السجن.
اتهم بارتكاب جنحة: ازدراء الدين الإسلامي وفقا لأحكام المادة ١١١ من قانون الجزاء الكويتي
الأدلة المقدمة ضده، مدونته:
وثائق رسمية أسفله

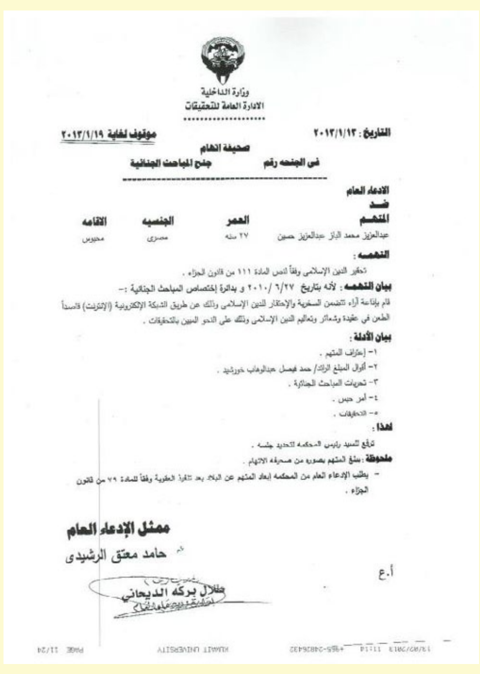
فبراير ٧ ,٢٠١٣
أدين بارتكاب جنحة: ازدراء الدين الإسلامي وفقا لأحكام المادة ١١١ من قانون الجزاء الكويتي. حكم عليه بالسجن لمدة سنة واحدة في السجن بالإضافة إلى العمل القسري، بالإضافة إلى غرامة مالية والإبعاد من الكويت.
نشاط بنباز قبل اعتقاله
كتابة على مدونته: http://www.benbaz.info
الكتابة على صفحته في الفيسبوك

نبضات بن باز

كاتب مساهم في مجلة IThink (مجلة إلحادية شهرية باللغة العربية): http://i-think-magazine.blogspot.com/، https://www.facebook.com/I.Think.Magazine
مساهم على الانترنت بإذاعة الملحدين العرب

نحن بحاجة لمساعدتكم للضغط على الحكومة الكويتية لإطلاق سراح بنباز

وقعو على العريضة: http://tinyurl.com/BenBazPetition
انضمام مجموعة FreeBenBaz في الفيسبوك: https://www.facebook.com/groups/FreeBenBaz/
تابع صفحة في الفيسبوك المجتمع :FreeBenBaz https://www.facebook.com/Freebenbazpage
على التويتر hastag: # FreeBenBaz
إذا كنت تستطيع تنظيم وقفة احتجاجية أمام السفارة الكويتية أو القنصلية في مدينتك إتصل بناو سوف نساعدك. للانضمام إلى FreeBenBazProtest الصفحة في الفيسبوك: http://tinyurl.com/BenBazProtest
يرجى مساعدتنا بالفيديو والكتابة في مدوناتكم الخاصة وعلى الفسبوك والتويتر، وكتابة المقالات،و الإتصال بوسائل الإعلام
لدينا شريط فيديو على موقع يوتيوب يرجى مشاهدة و البت على الفايسبوك و التويتر :
http://youtu.be/2B_n7wo4Ji4
شكرا لكم!



وزارة الداخلية
الادارة العامة للتحقيقات

التاريخ : ٢٠١٣/١/١٣ **موقوف لغاية ٢٠١٣/١/١٩**

صحيفة اتهام

فى الجنحه رقم **جنح المباحث الجنائية**

الادعاء العام
ضـد

المتهـم	العمر	الجنسيه	الاقامه
عبدالعزيز محمد الباز عبدالعزيز حسين	٢٧ سنه	مصرى	محبوس

التهمـه :

تحقير الدين الإسلامى وفقاً لنص المادة ١١١ من قانون الجزاء .

بيان التهمـه : لأنه بتاريخ ٦/٢٧ /٢٠١٠ و بدائرة إختصاص المباحث الجنائية :-
قام بإذاعة آراء تتضمن السخرية والإحتقار للدين الإسلامى وذلك عن طريق الشبكة الإلكترونية (الإنترنت) قاصداً الطعن فى عقيدة وشعائر وتعاليم الدين الإسلامى وذلك على النحو المبين بالتحقيقات .

بيان الأدلة :

١- إعتراف المتهم .
٢- أقوال المبلغ الرائد/ حمد فيصل عبدالوهاب خورشيد .
٣- تحريات المباحث الجنائية .
٤- أمر حبس .
٥- التحقيقات .

لهذا :

ترفع للسيد رئيس المحكمه لتحديد جلسه .

ملحوظة : يبلغ المتهم بصوره من صحيفه الاتهام .

- يطلب الإدعاء العام من المحكمه إبعاد المتهم عن البلاد بعد تنفيذ العقوبة وفقاً للمادة ٧٩ من قانون الجزاء .

ممثل الإدعاء العام
حامد معتق الرشيدى

أ.ع

طلال بركه الديحاني

13/02/2013 11:14 +965-24826432 KUWAIT UNIVERSITY PAGE 11/24



STATE OF KUWAIT
MINISTERY OF INTERIOR
General Department of Criminal Investigation
Electronics And Cyber Crime Combating Dept.

دولـة الكـويـت
وزارة الداخـليـة
الإدارة العامة للمباحث الجنائية
إدارة مكافحة الجرائم الإلكترونية

السيد /مدير عام الادارة العامة للمباحث الجنائية بالإنابة المحترم

تحية طيبة و بعد ...

الموضوع : مدونة نبضات بن باز

بالاشارة اى كتاب الادارة العامة للامن الوقائي و المؤشر عليه من قبلكم حول المدونة المذكورة اعلاه و ما تقوم بنشره من مواضيع و خصوصا الالحاد و الكفر و يحاول المدون المدعو / عبدالعزيز محمد الباز حسين – مصري الجنسية و رقمه المدني ------
و بالاطلاع على المدونة و ما تحتويه من معلومات و مقاطع فيديو عن العلمانية و حث الناس للتوجه للعلمانية بدل الديانه , و كذلك اضف "فان فكرة التضحية بصحة الناس وامنهم من اجل ارضاء طلبات الله التافهة (لان الصلاة مقارنة بانقاذ حياة الناس هي شيء تافه) تبدوا جنونا بالنسبة للبالغ العاقل." و غيره تمت كتابته على الموقع http://www.benbaz.info و مما تشكل جريمة يعاقب عليها القانون لانتهاك حرمة الاديان .

لذا نرفع لكم الامر بما ترونه مناسبا للنظر و التصرف .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير ..

المرفقات :
صور ضوئية لما تم كتابته بالموقع
برنتات تفصيلية لصاحب المدونة
صفحة حسابه على الفيس بوك

مدير ادارة مكافحة الجرائم الالكترونية
العميد /عادل ناصر السبيعي

13/02/2013 11:14 +965-24826432 KUWAIT UNIVERSITY PAGE 12/24

مدونة محمد عبد العزيز

www.benbaz.info

صفحة الفيسبوك

www.tinyurl.com/Benbazfacebook

لتوقيع العريضة

www.tinyurl.com/BenBazPetition



يقول القرآن (لا مبدل لكلمات الله) ويقول أيضاً (لا مبدل لكلماته – الأنعام والكهف) والآية تعني أحد أمرين

١- إما أن الله لا يبدل كلامه وهذا شيء مفهوم بل وواجب في حق الإله، فكيف يليق بإله أن يبدل كلامه وهو كلي العلم وأزلي الوجود وعالم بالغيب، وحافظ لكلامه في اللوح المحفوظ؟

٢- وإما أن الله لا يسمح لبشر بأن يبدل كلامه وهذا أيضاً مفهوم فأنى لبشر ضعيف فانٍ أن يقدر على تبديل كلام الإله الأزلي؟ وكيف يسمح له الإله بتبديله؟

ولكن تواجهنا معضلتان.

الأولى: ان الله نفسه يبدل كلماته التي أكد أن لا مبدل لها فيقول (وإذا بدلنا آيةً مكان آيةٍ والله أعلم بما يبدل قالوا إنما أنت مفتر - النحل).. فهذه الآية تقول أن الله يبدل الآيات بآيات أخرى، ويقر بأن الكفار والمشركين استنكروا أن يتراجع إله في كلامه ويبدله فاتهموا محمداً بالافتراء، وكعادة القرآن في «الرد على الشبهات» لم يقدم أي تفسير مقنع لهذه الأحجية ومضى يكرر نفس القصة من أن القرآن نزله روح القدس بالحق إلى آخره..

كما يقول القرآن أيضاً (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها - البقرة) !! ونترك لكل من يملك ذرة عقل فما دونها أن يفهم ما الذي يضطر إلهاً إلى أن ينسخ بعض الآيات ليأتي بخير منها أو مثلها.. فإذا كانت الآية الناسخة خيراً من المنسوخة فلم لم يأتِ بها أولاً؟ وهل ثبت له بعد تجربة الآية المنسوخة أنها ليست صالحة؟ هل يستخدمنا الإله حقلاً لتجاربه؟ وإذا كان نسخ آية والإتيان بخير منها أمراً يطعن في حكمة الإله، ولكنه يظل مفهوماً في إطار التجربة والخطأ الإلهيين (Trial and Error)، ولكن ما الحكمة في نسخ آية والإتيان بآية «مثلها»؟ أليس هذا نوعاً من العبث؟ وإذا كانت الآيتان متماثلتين فلم لم يبق الآية الأولى؟ وفي خضم إتيان الإله بآية أفضل وآيات متشابهة سقط التفسير الأول بأن الله لا يبدل لكلماته..

المعضلة الثانية هي أن البشر يبدلون كلام الله بكل بساطة، بل أن البشر –حسب العقيدة الاسلامية- أفلحوا في تبديل جميع كلمات الله المتتالية بدون استثناء كالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وما لم نعلم من كتب وصحائف، ولم يسلم من ذلك إلا القرآن.. فكيف للبشر أن يفعلوا ذلك وقد تعهد الله منذ الأزل بأن لا مبدل لكلماته؟

نجد في ثلاجة الأجوبة المعلبة إجابة جاهزة يستخدمها المسلمون فيقولون ان الله لم يتعهد بحفظ كتبه الاولى ولكنه تعهد بحفظ القرآن، وسؤالي هو: هل يوجد إله يعجز عن حفظ رسالاته الى البشر من العبث؟ ثم وفي نهاية المطاف يقول لنفسه «سأكون منتبهاً تماماً هذه المرة وسأنزل رسالة لا يستطيع أحد أن يبدلها؟» .. هل يؤمن بإله كهذا شخص يحترم عقله؟ إله تستطيع مخلوقاته أن تعبث بكلماته وتبدلها؟ إله ينزل آيات يزعم انها في اللوح المحفوظ ثم يكتشف بعد قليل انها لم تعد صالحة فيبدلها زاعماً انه سيأتي بأحسن منها أو مثلها؟

ألم يخطر على بال الإله في أول مرة تم فيها تبديل كلماته، ولتكن التوراة مثلاً، أن يحاول حفظها في المرة التالية، ولتكن الإنجيل مثلاً؟ لماذا يكرر الإله

أخطائه مرة بعد أخرى؟ هل فطن بعد ستمائة سنة من تعليق آخر نبي (أو ابن) أرسله إلى الأرض على الصليب بين عاهرة ولص، فطن الى أن شيئاً ما لا بد أن يفعل إزاء هذا العبث البشري المتكرر بكلماته فأرسل رسالة خاتمة وتعهد بحفظها؟

وحتى في هذه الرسالة لم يتعلم من أخطائه فقد زعم التعهد بحفظها ولكنه كان أول من غير وبدل فيها، فيكاد يجمع علماء المسلمين ان آية السيف (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم - التوبة) نسخت مائة وأربع وعشرين آية!! ولعاقل أن يسأل: إذا اضطر الله نفسه أن يغير آياته مرات عديدة في ربع قرن فكيف يزعم هؤلاء أن القرآن صالح لكل زمان ومكان وهو لم يصلح لقرية بدوية صغيرة لمدة ربع قرن دون تبديل؟ وإذا قامت دولة بتبديل دستورها مرة في كل عشر سنوات لقلنا ان من خط هذا الدستور لا يفقه في القانون شيئاً، فعلى الرغم من أن الدساتير لا يطلب منها الخلود ولكن استقرارها لفترة زمنية يكسبها الاحترام.

وإذا كان تراجع الإله عن بعض ما قاله مفهوماً فكيف نفسر أن ينسخ الرسول كلام الله؟ كمثال على ذلك نورد حد رجم الزاني والذي ينص القرآن على أنه الجلد بينما يصر الرسول والعلماء على انه الرجم للزاني المحصن، وكأن الله حينما أنزل النص الأول لم يكن يعلم أن الزناة لا بد وأن يكونوا إما محصنين أو غير محصنين، ثم استدرك الرسول على الله بأن أضاف عقوبة مشددة لمن كان محصناً..

ولمواجهة هذا التضارب المحرج ظهرت أحاديث صحيحة تقول أن الله أنزل آية في الرجم ولكنها اختفت من المصحف، وفي تفسير ذلك يقول بعض العلماء الظرفاء أن هذه الآية نسخ لفظها وبقي حكمها، وروى الطبراني وابن ماجة والدار قطني وابن يعلى أن هذه الآيات كانت مكتوبة وموضوعة تحت سرير عائشة فلما مات الرسول وانشغلوا بدفنه دخل الداجن وأكلها!!

والتفسير الأول يفتح الباب للبشر أن يبدلوا كلام الله فلا نختلف عن اليهود والنصارى في شيء، أما التفسير الثاني فيفتح الباب للقول بأن «الدواب» تبدل كلام الله .. ويجد مسلم اليوم نفسه مضطراً للإيمان بأن الله أنزل آيات ثم نسخ لفظها وأراد لحكمها أن يبقى!! وأن الداجن له سلطان على كلام الله الذي تعهد بحفظه!

ولا يزال أنصار الدولة الدينية يرفعون شعار تطبيق الشريعة حتى يومنا هذا بحسبانها المحجة البيضاء ليلها كنهارها، هذه الشريعة التي لم يفهمها أقرب الصحابة إلى الرسول فتقاتلوا بينهم قتالاً شديداً أفنى فيه مبشرون بالجنة مبشرون آخرون، وها هم ينتظرون يوم القيامة عسى أن يصدق الله وعده في قوله (ونزعنا ما في صدورهم من غل)، هذا إذا لم يغير رأيه وينسخ هذه الآية أيضاً.

وإذا كانت هذه المحجة البيضاء لم تكن واضحة لصحابة الرسول في أهم الأمور وهو انتقال السلطة حتى اضطروا إلى قتل بعضهم البعض ولما يمض على وفاة الرسول ثلاثة عقود، ف فيم وضوح هذه الشريعة؟ وما الذي يدعوهم إلى الاعتقاد بأن الشريعة ستكون أوضح لنا بعد أربعة عشر قرناً مما كانت للصحابة وهم من تربوا على يدي الرسول وعاصروا «الوحي»؟

الدفن المدني إرادة يتوجبُ احترامها لدى غير المؤمن

ترجمة: هشام تسمارت

أكدَ الكاتب والشاعر المغربي، عبد اللطيف اللعبي، ضرورةَ احترام إرادة غير المؤمن بالمعتقدات الدينية، في حال أراد أن يدفن بعدَ موته دفنا مدنيا، خاليا من أية طقوس دينية، تنفيذا لآخر رغبة لهُ في الحياة. مشدداً على أنَّ الدين شانٌ فردي لا يستقيمُ أن يتدخل فيه الآخر.

وأردف عبد اللطيف اللعبي، في حوار مع مجلة «ماروك إيبدُو» أنَّ المثقفين العرب تجاوزوا حاجز الصمت، وانخرطوا بشكل فعلي في الثورات، المتوالية منذُ انطلاق ما يعرف «الربيع العربي». حتى أنَّ البعض منهم دفع حياته ثمنا لمواقفه المعبر عنها، سيما في سوريا وتونس.

أما بالنسبة إلى التحولات التي تعرفها مجتمعاتنا في الوقت الراهن، فيعتقدُ صاحب «العين والليل»، وخلافا للتشاؤم السائد هذه الأيام، حسب قوله، أنها ستفرزُ في نهاية المطاف تحولات نوعية، في طريق الديمقراطية. عبر مراحل. بعدما «أوجدت شعوبنا حريتها الضائعة، وانتشت بالحرية في رفضها للأنظمة الاستبدادية، أيا كان لونها السياسي أو الأيديولوجي».
عابت عليك بعضُ المنابر الصحفية في الآونة الأخيرة، الطلب من ذويـك عدم إجـراء طقوس دينية في جنازتك بعد الرحيل عن الحياة، هلا أوضحت الأمر قليلا؟

لقد كنتُ جليا بموقفي، وبسطتُ القول بما فيه الكفاية من خلال نصي «حرية المعتقد في الحياة وعندَ الموت»، نشر مؤخرا في الصحافة الوطنية، حيثُ دافعتُ عن الدفن المدني، في حال كان ذلك خيار شخص لا يؤمن بالمعتقدات الدينية. لأنَّ من حقه أن تحترمَ آخر إراداته. أما الذين أرادوا تحريف وجهة الاقتراح الذي تقدمت به، فهم من أسرى اللاتسامح. ويعمدون إلى الإساءة بدلَ القبول بالنقاش.
هناك من اتهمكم أيضا بالإلحاد ونفي الإسلام؟ هل الأمر كذلك؟

شخصيا، أعتبرُ الإيمان بالمعتقدات الدينية من عدمه مسألة شخصية، تخص اِعتقاد كل فرد. ولا يمكننا أن نطلب منهُ الإفصاح عن ذلك في مكان عمومي. ثمَّ ألا تؤكد الرسالة الإنسانية للإسلام ذاتها أنَّ لا إكراه في الدين؟ أم أنني لمْ أنادِ في نصي بما فيه الكفاية بإسلام يأخذ بالحسبان قيم العلمانية والديمقراطية؟

أعتقد أنَّ المشكل الحقيقي يكمن في تحديد الإسلام الذي نتحدث عنه. أي التمييز بين ذلك الإسلام الذي سمحَ للحضارة التي توسع فيها باشتغال الفكر، والطمأنينة الروحية، والفنون والعلوم على المستوى الكوني، أو ذاك الذي يتبناه من يرتؤون ردم المعابد الدينية وحرق المخطوطات النفيسة، وقطع الأيادي ورجم النساء في القرن الحادي والعشرين، وللفئة الثانية أقول: لكم دينكم ولي دين.

كيف تنظرُ إلى كل النقاشات الدائرة حول الإسلام في الغرب؟
النقاش حول الإسلام بالغرب تشوش عليه المخاوف المتصلة بالصعوبات، التي تحول دون تأقلم الجاليات المسلمة مع العقد الاجتماعي والثقافة المتبعين في البلدان التي يعيشون بها. مما يدعوُ إلى الاحتراز والنأي عن التعميم، لأنَّ هنا غربا وغرباً آخر، إذ لا

يتعين أن ننسى أنَّ هناك إلى جانب تلك العنصرية المعتادة، انفتاحا حقيقيا، واشتغالا ملحوظا على التراث الحضاري للإسلام، يتمُّ بشكل أدق إذا ما قورن بما هو جارٍ لدينا.

هل تعتقدُ أنَّ الإسلام ليس ديناً متسامحاً؟
إنهُ العبث عينهُ، ليس هناك دينٌ غير متسامح في ماهيته. وإنما نجدُ بين ممارسي شعائر أي دين من الأديان، أشخاصا وتيارات متعصبة تلحق أذى كبيرا بالدين الذي تعتنقه.

زوجتك مسيحية الميلاد، وأعربت أنت في وقتك في وقت سابق عن أملك في أنة تدفن بمقبرة واحدة معها، إلى أي مدى يمكن تحقيق ذلك؟

يحدونِي أملٌ كبير في أن تتحقق تلك الأمنية ببلدي الذي وهبته كل شيء، أو البلاد التي شهدت ولادتي، وحتى وإن كنتُ لا أعلمُ شيئا عن ذلك، إلا أنني استطعتُ على الأقل أن أطرح ذلك السؤال بجلاء ودون مواربة. أما الآن فالكرة في ملعب مواطنيَّ الذين يكنون لي بعض التقدير، بأن يحققوا آخر إرادة لي في الحياة. بالرغم من صدمها لطرق تفكير البعض واعتقاداتهم.

لاحظنا أنَّ المثقفين العرب كانوا غائبين عن النقاشات التي احتدمت حول «الربيع العربي». ما الذي يسوغ ذلك الصمت؟ وما موقفكم من التحول الذي تعيشه بعض الأنظمة العربية؟
عن أيِّ صمت تتحدثون؟ الكثير من المثقفين العرب تجاوزوا مسألة الصمت، وانخرطوا بشكل فعلي في الثورات، التي شهدناها منذُ انطلاق ما يسمى «الربيع العربي». وقد كلف تلك المواقف حياة البعض منهم، سيما في سوريا وتونس، لقاء التزامهم. وعليه فإنهُ من الحري قراءة ما كتبوه في هذا الصدد عوض الانبراء إلى مهاجمتهم.

أما بالنسبة إلى التحولات التي تعرفها مجتمعاتنا في الوقت الراهن، فأنا أعتقدُ، وخلافا للتشاؤم السائد هذه الأيام، أنها ستفرزُ في نهاية المطاف تحولات نوعية، في طريق الديمقراطية. عبر مراحل. بعدما أوجدت شعوبنا حريتها الضائعة، وانتشت بالحرية في رفضها للأنظمة الاستبدادية، أيا كان لونها السياسي أو الإيديولوجي.

هل تعتقدُ أنَّ المغرب استثناءٌ في العالم العربي؟
أين تتجلى فرادة المغرب وكونه استثناءً مما يجري؟ وهل يصح القول إنَّ المسببات التي أشعلت فتيل «الربيع العربي» غير قائمة في المغرب. الاستثناء الوحيد الذي يمكن أن أتحدث عنه من جانبي هو أنَّ التحولات التي يصبُو إليها شعبنا تتمُ بشكل سلمي. لكن ذلك يتوقفُ على مجموعة عوامل أشرت إليها في كتابي المعنون «مغرب آخر»، يرتقبُ صدوره الشهر المقبل.

بات سائداً في الفترة الأخيرة حين تطلق الاتهامات أو توصف الأوبئة النفسية والاجتماعية التي تصيب البشر كمجموعات وليس كأفراد، بات سائداً أن نحاول شخصنة الموضوع، ووصفه على أنه مشكلة فردية وليست نابعة من سلوك جمعي أو من تفسيراتٍ معينة لأيديولوجياتٍ ما، ومن أحد الأشكال التي يُعتقد أنها توحي بالحياد والموضوعية هي أن تتهم الجميع بهذه الأوبئة، كأن لا تقتصر تهمة الطائفية على أبناء طائفة معينة، ولو كان حديثك مناسبة سلوك طائفي من أبناء طائفة واحدة فإنكَ تشتم وتلعن وتمتعض من طائفية كافة الطوائف.

من الأشكال الجديدة لهذا التأويل الدبلوماسي هو المساواة بين المتدين والملحد في تهم التعصب والتزمت، كأن يقال أن هناك ملحدين متعصبين ولا يقلون سوءاً عن السلفيين والأصوليين، ربما للوهلة الأولى يوحي ذلك بموضوعية لا بأس بها، خصوصاً حين يصدر هذا الكلام عن شخصٍ ملحد، أو على الأقل عن شخصٍ لا يؤيد التطرف الديني.

برأيي أن الملحد المتعصب هي مجرد أسطورة، مجرد وهمٍ يحب المتدينين استخدامه كي لا يحتكروا تهم التعصب والإقصاء، من حيث المبدأ والمنطق البسيط لا يمكن للملحد أن يكون متعصباً، أحد أشد حالات الإلحاد هو ما يسمى بالضد - ديني أو الملحد السلبي، باللغة الإنكليزية يبدو المصطلح أكثر انتشاراً واعتياداً حتى للناطقين باللغة العربية: (Antitheist)، سأعالج هذه الحالة باعتبارها التعصب الأشد، وهو الملحد الذي لا يكتفي بعدم الإيمان بالأديان، ولكن يسعى لتفنيد حججها وإثبات خطأ نظرياتها، ويكرس من وقته وجهده لهذه الغاية، وقد يصل في بعض الحالات إلى حد تعمد إهانة رموزها، ربما من الأمثلة الواضحة على هذا النوع البروفيسور البريطاني ريتشارد داوكينز، المعروف بمنتوجه الجريء بخصوص الأديان، كسلسلة وثائقيات التي تحمل اسم (أصل كل الشرور The Root of All Evil) وكتابه الذي مُنع عنا في المنطقة العربية وقرأناه بنسخٍ إلكترونية (وهم الإله The God Delusion).

بمقارنة بسيطة سنجد أن هذا الملحد السلبي المعادي للدين الذي يتعرض للاستهجان كل يوم، إذا ما قورن بالمتعصبين دينياً عموماً والمسلمين منهم خصوصاً لا يزال شخصاً في قمة الرقي والحرية، لا نعرف حالة واحدة قام فيها ملحد بقتل مؤمنٍ عقاباً على إيمانه، ونعرف الكثير من الحالات التي قتل فيها المؤمنون الملحدين والعلماء بسبب أفكارٍ فقط، ومن أبسط الأمثلة القانون الذي صدر بضغطٍ من الكتلة الإسلامية في الكويت والذي ينص على إعدام من ينطق بعبارة كفر بالله، لا نعرف ملحداً يطالب بمنع كتابٍ واحد من النشر أو الترجمة، في حين تمنع مئات الكتب كل يوم في مختلف الدول بسبب تلميحاتٍ أو عبارات قد يراها البعض تتناقض مع إيمانٍ معين، وليست بالضرورة تدعم الإلحاد، قد تكون بكل بساطةٍ تدعم ديناً آخر سوى السائد يرون أن أتباعه من الكفار، لا نعرف عالماً واحداً طالب بقتل رجل دين، في حين قام رجال الدين والمؤمنين المتعصبين عبر العصور بالمطالبة وقتل آلاف العلماء والفلاسفة والأدباء لمجرد رؤيتهم أن ما قدموه من منتوجٍ

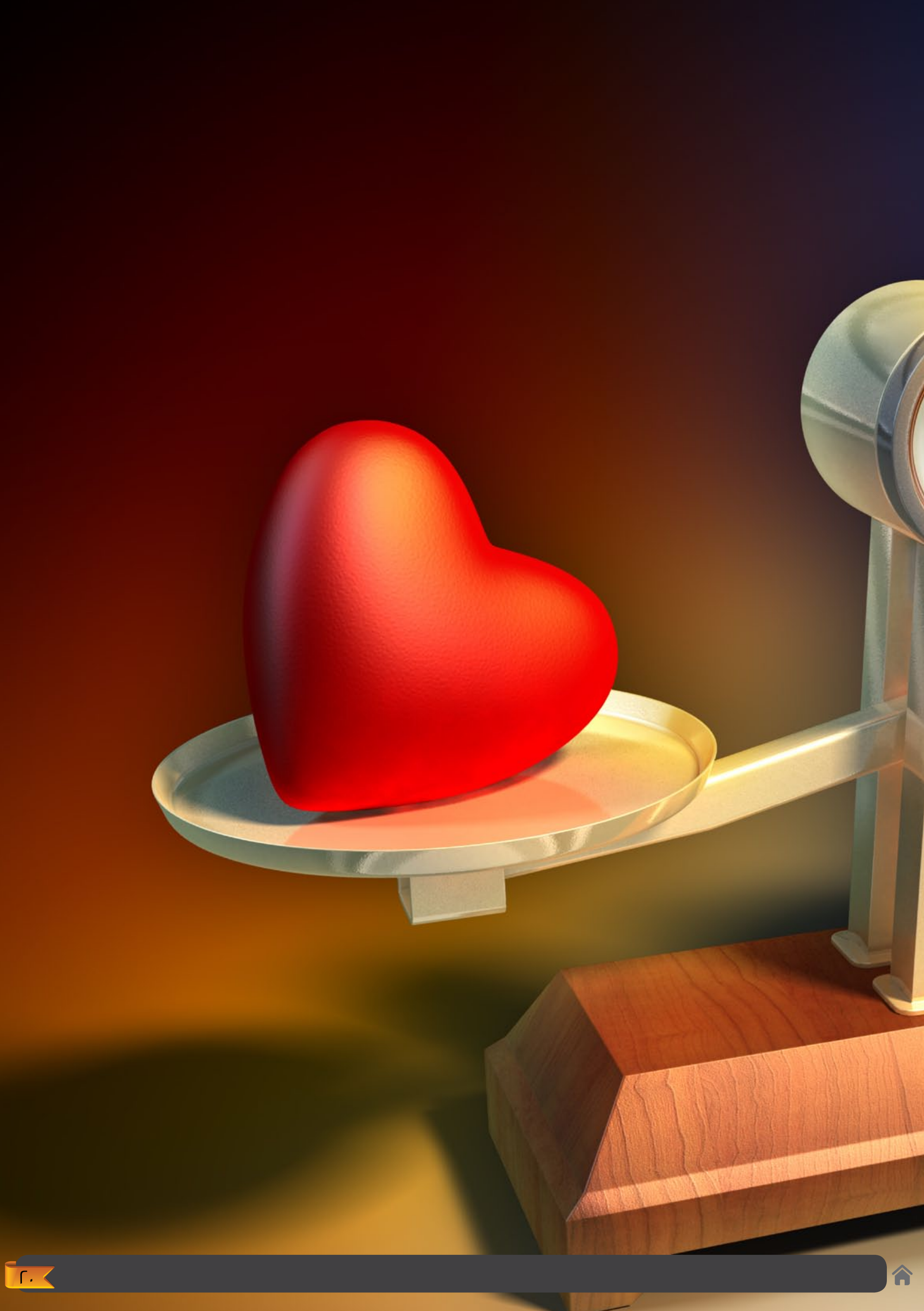
للبشرية فيه كفر أو عدم توافقٍ مع تفسيراتهم للدين.

جنيسا رت هو الاسم القديم لبحيرة طبرية في الجولان المحتل، وعندما نشرتُ تدوينه تحمل اسم جنيسا رت المتداول حتى اليوم بسبب تسمية البحيرة بهذا الاسم في الإنجيل سألتني صديقة مسلمة عن معنى الكلمة، قلتُ لها أن تبحث عنها على الإنترنت، بشكلٍ طبيعي ستكون أولى النتائج من مواقع تابعة لمؤسساتٍ كنسية أو ذات طابعٍ مسيحي أو تبشيري، وبسبب إقامة هذه الصديقة في المملكة السعودية كانت معظم المواقع التي أتتها النتائج منها محجوبة، من جهة أرصد هذا الموقف الدفاعي المبالغ به من قبل المسؤولين عن رقابة خدمة الإنترنت في السعودية والتي تحجب إضافة للمواقع المسيحية المواقع التي تروج لأفكار الطوائف الأخرى داخل الإسلام نفسه، مواقع من ضمن نفس الطائفة ولكن ذات وجهات نظر مختلفة مع وجهة النظر التي يتبنونها، والأهم المواقع التي تروج للتفكير العقلاني وعلى رأسها أحد أكثر المواقع العربية احتراماً ورقياً؛ موقع الأوان.

في الجهة المقابلة نجد الغرب الذي يمثل بشكلٍ أو بآخر التجسد الاجتماعي والسياسي نسبياً للتفكير العقلاني أو كما يحلو للبعض أن يسميه: الإلحادي، على عكس أسلوب النعامة الذي تتبعه الدول العربية التي تُحكم باسم الدين، نجد موقعاً يحمل اسم (جهاد ولوجي)، يقوم بنشر كل بيانات الحركات الإرهابية التي تقدم نفسه باسم الدين والجهاد في سبيله، تنشر جميع الفيديوهات التي تصدر عن هذه الحركات وجيع البيانات سواء باللغة الأصلية لهذه البيانات (العربية غالباً) أو مع ترجمتها إلى اللغة الإنكليزية كي يتمكن الأمريكي والبريطاني وغيرهما من المتحدثين باللغة الإنكليزية من فهمها.

على عكس ملايين الأرواح التي أزهقت باسم الدين وبسببه ربما، لا نعرف حالة واحدة قُتل فيها مؤمنٌ من قبل ملحد، قد يقتل مؤمن من قبل مؤمنٍ بدين أو طائفة أو وجهة نظرٍ أخرى، ولكن الضحايا في المعركة الطويلة الأمد بين المؤمن والملحد ما زالت حتى اليوم من طرفٍ واحد، وإن حاول البعض أن يحسب بعض الجهات السياسية على الطرف اللا مؤمن والتي تقوم نفسها بسجن وتعذيب وقتل مئات الملحدين والعلمانيين واليساريين كل عام.


أنا أفكر
iThink
magazine مجلة
لأن اليقين حماقة



كيم فوك




«عندما عرف الجنود ان الطائرات سوف تقصف المبنى لم يصدقوا اعينهم. ونادوا بالاطفال للخروج منه، كنت خائفة جدا وخرجت الى الشارع مع اولاد عمومتي.

ثم رأيت اربعة انفجارات وفجأة تغطى كل شئ بالنابالم وجدت نفسي محاصرة في منتصف حريق رهيب ثيابي وجلدي كلها احترقت، وباعجوبة لم تتأثر قدماي وهكذا استطعت الجري.

صرخت: انه يحرق انه يحرق...

كان الثامن من حزيران ١٩٧٢ كنت صغيرة عمري ٩ سنوات...

في ذلك اليوم وعلى الطريق صورني نيك الذي كان يعمل لأسوشيتد برس، جمعنا القدر في لحظة مأساوية قوية بشكل رهيب.

في اليوم التالي، كان صورتي في عناوين الصحف في جميع أنحاء العالم وهزت الرأي العام،

ان نيك لم يكن مجرد مراسل يقوم بعمله كان إنساناً جاء لمساعدة إنسان آخر. بعد أخذ صورته، ترك الة التصوير وحملني فوراً الى أقرب مشفى»

كانت هذه مقدمة كتاب بعنوان « تعيش الحياة» كتبته كيم فوك Kim Phuk صاحبة الصورة.

حاز نيك Nick Ut على اهم جائزة صحفية في الولايات المتحدة الاميركية وهي جائزة بوليتزر.

قضت كيم اربعة عشرة شهراً في مشفى سايغون لتشفى من الحروق والجروح، وتعيش الان في تورنتو في كندا مع زوجها وولديها

اصبحت سفيرة لليونسكو منذ عام ١٩٩٧

واسست جمعية لمساعدة اطفال الحروب طبيا ونفسياً وتساهم مع زوجها في تمويل مشاريع مدرسية ومشافي في انحاء العالم مثل اوغندا ورومانيا وتاجيكستان وكينيا وافغانستان.

تقول كيم

« حررني الغفران من الكراهية. لا يزال لدي ندبات كثيرة على جسدي وألم شديد في معظم الأيام ولكن قلبي نظيف.

النابالم قوي جدا، ولكن الإيمان والغفران، والمحبة أقوى بكثير.

لن يكون لدينا حرب على الإطلاق لو أن كل منا يتعلم كيف يعيش مع الحب الحقيقي، والأمل، والمغفرة

الفتاة الصغيرة في الصورة تستطيع ان تغفر، اسأل نفسك: هل تستطيع فعل ذلك» ؟

اسم كيم فوك بلغتها يعني السعادة الذهبية

نساء المباني المحطمة..المرأة عندما تريد



استسلمت المانيا للحلفاء عام ١٩٤٥ كانت حطام دولة . الشعب في حالة احباط وانهيار تام, ٥ مليون معتقل في سيبريا, منازل بل مدن كاملة سويت بالأرض, قوات الحلفاء حملوا معهم المصانع والآلات ودمرو البنية التحيتة بشكل كامل, الشعب عبارة عن نساء وأطفال وشيوخ, انتشرت فكرة الانتحار, ثم تلاها فكرة النهوض من القاع بقيادة النساء, في غياب تام للحكومة, بدأت النساء والشيوخ بجمع الأنقاض لاعادة بناء البيوت

و جمع الأوراق والكتب من تحت الانقاض لفتح المدارس, كتبوا على بقايا الجدران المحطمة شعارات تبث الامل وتحث على العمل :

- لاتنتظر حقك
- افعل ماتستطيع
- ازرع الأمل قبل القمح

كانت الفترة من عام ١٩٤٥الى ١٩٥٥مرحلة بناء البيوت, بالامل والايمان صنعوا النجاح.

سميت النساء :نساء المباني المحطمة. عام ١٩٥٤فازت المانيا بكأس العالم و كانت أصابع أقدام اللاعبين تخرج من أحذيتهم المهترئة. الفترة من عام ١٩٥٥الى ١٩٦٥كانت مرحلة بناء المصانع, تم استيراد عمال اتراك وكتبوا قيم العمل :جدية +أمل. الفترة من ١٩٦٥الى ١٩٧٥ظهرت رؤوس الأموال و رجال الاعمال, تكفل كل رجل اعمال بخمسين شابا يدربهم و يعلمهم, كانت مهمة الاعلام بث الامل

تجربة تستحق التأمل

https://www.facebook.com/TheIntellectualRevolution?fref=ts

في حقبٍ عدة من تاريخ التواجد الإنساني, استَمدَ الإنسان معاييره من مرجعياتٍ تتمايز عن ذاته, فأما كانت الطبيعة اللاواعية مقياساً, أو كانت تتمثل في الأوهام الماكثة خارج حدود الطبيعة, أو موجوداتٍ واهية حظيتْ بالتعظيم. وبذا تمثلتْ الإشكاليات المعيارية في أن تلك المعايير لم تكن متوافقة والإنسان, الكائن المنسوج من الطبيعة من جهة, والقادر الواعي على الادراك و الاحاطة والتغير من جهة اخرى. ذات الإنسان المنسوجة من الوعي واللاوعي, – تطورتْ بحكم الطبيعة- ,هي التي تشكلُ منذُ أول الوجود الإنساني, النور المنبثقَ على الوجود مبدداً ظلامه, والإدراك الوحيد للوجود, والاحتمالية الوحيدة للسيطرة عليه, لذا وإن لم تكن الكينونة الإنسانية تمثلُ مركز الطبيعة, فإنها أهمُ منشآتها, ومركز الوجود الحيوي وعقله المفكر, ومن الممكن أن يكون المنقذ والناجد الوحيد لرفاقه وأصوله الحيّة. وعلى ذا تبلورَ مفهوم مركزية الإنسان بالنسبة للإنسان, والإعلاء من شأنه واعتباره أعلى قيمة في الوجود. هذا الادراكُ الوجودي, هو ما يسمى في التاريخ الثقافي العام باسم " النزعة الإنسانية " Humanism

الورقة البحثية الماثلة تتناول عرضاً تاريخياً موجزاً للنزعة الإنسانية, وتتبع نشأة مصطلح "Humanism" وتوضح الخلافات الحاصلة في ترجمته العربية, ذلك بغية الإطلاع على هذه النزعة الفلسفية في سياقها التاريخي, وتبيّن مدى تقدمها وتطور مفاهيمها مع تطور العالم. وعقب التتبع التاريخ هذا, في ورقة لاحقة سنتناول ابرز التعريفات والصياغات الفكرية التي تحاول تحديد مفاهيم هذا الفكر الفلسفي, وعلى ضوءها نستشف والقارئ الكريم سمات النزعة الإنسانية.

نبذة تاريخية عن النزعة الإنسانية

ربما أن كل دارس للنزعة الإنسانية, يجد أن أفكارها الانطلاقية – الاولية, قديمة, قِدمَ التفكير الفلسفي للإنسان, ففكرة ((الإنسان أعلى قيمة في الوجود, إلى جانب النزعة الفردية الانطلاقية نحو فهم الوجود الإنساني)), هو توجه فكري له جذوره الضاربة في عمق التاريخ المعرفي والفكري. ومن الغريب بعض الشيء أن هذه الأفكار الإنسانية, تبلورتْ عبر مخاضاتٍ ثقافية وأطوارٍ من التراكم المعرفي – الفكري قبل زهاء ثلاثمئة عام, فيما إنسان اليوم مازال متردداً حيال الكثير أو القليل من المفاهيم الإنسانية, المرتكزة إلى العقلانية والقيم الطبيعية الكبرى.

إنسانيون كُثر, أمثال كوريس لامونت, وبول كورتز, وجيم هيريك, يعودون بالأسس الفكرية للنزعة الإنسانية إلى فلاسفة وأدباء اليونان, باعتبارهم المرجعية المركزية لإنسانيي عصر النهضة, من أمثال سقراط, وطاليس, و أبيقورس, و أفلاطون, وأرسطو, واليونان الأيون, و وسواهم عديدون. بيد أنهم لا يغفلون تأثير فلاسفة من روما القديمة, إلى جانب بوذا, و كونفوشيوس, وزرادشت, و غيرهم من الفلاسفة الآسيويين, وتقاليد صينية, وحركات هندية, موغلة في القدم. و عليه ندرك بأن النزعة الإنسانية ليست غربية بحتة, بل هي رؤى فلسفية, نابعة من كل الإنسانية, وعبر تاريخها الطويل, وهو أيضاً بمنطق الإنسانيين القائل أن كل أسهام علماني وعقلاني هو جزء من المجموعة المفاهيمية الإنسانية, وجزء من تيارها الفلسفي, وبذا يكون لها وجودها و عمقها الفكري النابض -أي النزعة الإنسانية – على مدى تاريخ البشر المعرفي. رغم أن صياغاتها الابرز, وتطبيقاتها العملية, تمتْ بجهود فلاسفة ونشطاء الغرب حديثاً.

مصطلح إنساني (Humanist) في البداية كان يشير إلى مجموعة من المتخصصين في الآداب و العلوم الإنسانية, تواجدُ مقابلاً للسلطة الكنسية في بداية عصر النهضة في أوربا, وقد كان التوجه الأساسي لهم أدبي وفني, دعوا إلى بعث الإنسان

من رقاد القرون المظلمة, وأحياء الاداب والعلوم اليونانية القديمة, بما تنطوي عليه من أفكار عقلانية وطبيعية, وقد كانت تمثل حتى عصر النهضة ذروة ما وصل إليه التفكير الإنساني, وكذلك دافعَ إنسانيو النهضة عن حرّية الفكر والنشاط الإبداعي, و دعوا إلى استقلال السياسية, و المجتمع, والثقافة, و العلم, عن الكنيسة ورجال الدين.

وعلى هذا النحو, انطلقت الحركة الإنسانية قوية ثائرة, نشأت في إيطاليا أولا في القرن الرابع عشر, ثم انتشرت من هناك إلى بقية أنحاء أوروبا, وبلغت ذروتها في القرن السادس عشر: حيثُ النهضة بامتياز, من روادها أمثال فرانسيسكو بيترارش في إيطاليا, ورودولفوس اجريكولا في ألمانيا, مثّلوا النزعة الإنسانية، كشعراء أو معلمي خطابة, بيترارش الذي شجع التعليم في مجال العلوم الإنسانية، وبخاصة قواعد اللغة والبلاغة المبنية على اللاتينية الكلاسيكية، إضافةً إلى المخترع والفنان ليوناردو دافنشي, الذي دافع عن دراسة التشريح البشري والطبيعة والطقس، وكذلك فعل الإنساني الاسباني خوان لويس فيفيس, الذي دعا إلى الملاحظة والحرّفية والتقنيات العملية لتحسين الفلسفة. ويذكر جيم هيريك في كتابه "مدخل عام إلى النزعة الإنسانية" إنه كان من اهم ممثلي النزعة الإنسانية على مستوى أوروبا كلها : ايراسموس، خوان لويس فيفيس، غيوم بوديه، جاك لوفيفر ديتابل، لورنزو فالا، وآخرون عديدون. لقد ضاق كل هؤلاء ذرعا برجال الدين, ومواعظهم, وأفكارهم القمعية, والمستبدة بحق الإنسان, "ذاك الكائن الحرّ العاقل طبيعياً", وشعروا بالاختناق في ذلك الجو المغلق للعصور الوسطى, حيث لا توجد إلا اليقينيات القطعية, والتعاليم المفروضة عليك فرضا من فوق, وعن طريق الإكراه والقسر, ولذلك راحوا يقفزون على كل العصور الوسطى, التي تتجاوز الألف سنة, لكي يعودوا إلى أجواء اليونان حيث كانت الحرية متوافرة, وهكذا راحوا يترجمون كبار كتاب اليونان إلى اللغة اللاتينية أو اللغات القومية الأوروبية التي كانت في طور الانبثاق: كالإيطالية، والفرنسية، والإنجليزية، والألمانية، الخ.

وقد كان الباعث الرئيسي الكامن وراء ازدهار هذه التوجهات الإنسانية, وتطور التيار الإنساني, هو استناده إلى الإنسان – الفرد, واحترام استقلاليته الإبداعية, والوجودية, وخصوصيته الحياتية، والتعرف والاهتمام بمحاولاته في التواجد الحيوي مع البيئة, وفي بلورة المفاهيم, والأفكار, والخبرات ذات الأهمية المعرفية والحياتية, والإيمان بسعي الإنسان الحثيث للسعادة, والوعي الكامل, والتساؤل, وإزاء ذلك توجهَ الإنسانيون إلى رفض الفكر الديني, والخارق لحدود الطبيعة, كإحدى ابرز التيارات الأيديولوجية المنغلقة والقمعية فكرياً واجتماعياً, والمستبدة بمساعي الإنسان لتحقيق إنسانيته, وانطلاقاً من الركيزة الفردانية, استطاع إنسان ذلك اليوم أن يقف على حقيقة ذاته, مثابراً صوب الآفاق الإنسانية البارقة, جاعلاً ذاته متدفقة بمختلف الأنماط المعرفية والأفكار الابتكارية, يساعده في ذلك المناخ الفكري القائم على منح الأهمية أولاً للقيمة الفردية.

لكن آنذاك لم تكن النزعة الإنسانية, رؤى ومفاهيم فلسفية, بل كانت توجهاً فكرياً عاماً يمجد الإنسان ويتفاءل بقدراته, يرتكز إلى العقلانية والعلمانية والقيمة الفردية. ثم ظهر تيار جديد لدى المفكرين من رجال الدين وهو ما يمكن أن ندعوه بالنزعة الإنسانية المؤمنة, أي تلك التي تجمع بين الكتابات الدينية من جهة، وكتابات أدباء اليونان والرومان وفلاسفتهم من جهة أخرى بما تحمله من مبادئ عقلانية وقيم أخلاقية, ويمكن اعتبار المفكر الهولندي ايراسموس أبرز مثال على هذا التوجه الجديد, وكذلك المفكر الإنكليزي توماس مور. ولكن حروب المذاهب داخل المسيحية بين الكاثوليكيين والبروتستانتيين وكل المجازر التي رافقتها وضعت حداً للنزعة الإنسانية المتفائلة جدا بنوايا الإنسان وإمكانياته, كذلك أضعفت بشدة تلك النزعة المؤمنة.

فقد كشف الإنسان عن وجهه القبيح أثناء هذه الحروب الأهلية المدمرة, وبدا أنه قادر على ارتكاب أبشع الأعمال والمجازر, وعندئذ طرأ تحول على مفهوم النزعة الإنسانية, وأصبح أكثر واقعية, وهذا ما يتجلى في كتابات الفيلسوف الفرنسي مونتيني (١٥٣٣ ـ ١٥٩٢) الذي صور الإنسان كما هو عليه, لا كما نحلم أن يكون. فالإنسان المثالي الذي يرتقي عن الصغائر ولا يفعل إلا الخير لم يعد له وجود لديه, وإنما بدا الإنسان على حقيقته بخيره وشره، بعجزه وبجبره, فبقدر ما هو قادر على صنع المعجزات وتحقيق التقدم, بقدر ما هو قادر على ارتكاب أكبر المجازر والحماقات في حق أخيه الإنسان إذا ما اختلف عنه في العقيدة أو المذهب.

وعندئذ برزت إلى الوجود النزعة الإنسانية الإلحادية, تأسست على فكرة إن الدين هو الفكر الشرير الذي يؤسس لمرجعية فكرية للجريمة التي ترتكب لأجل العقيدة بحق الإنسان, وقال بعض المفكرين: إذا كان الدين يسمح بارتكاب كل هذه المجازر الدموية فلا حاجة لنا به, ومن حينها وحتى الآن مازال الجدال مستمراً بين الإنسانيين الدينين والملحدين.

- رغم تلك العراقة, وذاك العبق العقلاني القديم المتجدد, لم تكن النزعة الإنسانية بيّنة المفهوم, واضحة الملامح الفكرية, لم تُقدم صياغات تحددها وتوضح ملامحها, إلا في القرن العشرين.

في السنوات الأولى من القرن العشرين, بدأ عدد متزايد من المفكرين الأحرار, والفلاسفة الأكاديميين, استخدام مصطلح "Humanism". في ذلك الوقت عقب الحرب العالمية الأولى, نمت التوجهات الإنسانية داخل الحركات الإلحادية والعلمانية, وكذلك في الأوساط الأكاديمية, حتى تم تأسيس الزمالة الإنسانية في عام ١٩٢٧ في جامعة شيكاغو, والتي أصبحتْ نقابة الصحافة الإنسانية في ١٩٣٠, ولاحقاً ١٩٤١ تحولت لرابطة الإنسانيين الأمريكيين. أما في عام ١٩٣٣ فقد صدر لأول مرّة في التاريخ "الوثيقة الإنسانية", وهو البيان الإنساني الأول, تضمنت تلك الوثيقة صياغة مبادئية للنزعة الإنسانية, كتبها (روي وود سيلرز) و (ريمون براغ), وتم نشرها بواسطة ثلاثة و أربعين موقعاً, منهم رائد الفلسفة البراغماتية (جون ديوي), وبعكس البيانات والصياغات اللاحقة, أفادتْ تلك الوثيقة بـ "دين جديد", و أوضحت أن الإنسانية حركة دينية جديدة, تفوق و تستبدل الديانات القديمة, المؤسسة على إدعاءات غيبية فائقة للطبيعة, بيد إن هذه الوثيقة الإنسانية الدينية, بالوقت عينه, أكدت على أن العقلانية و العلم هما السبيلان دون غيرهم, لتقدم وتطور البشرية, و تخلصها من آلام الوجود, وبدت "الوثيقة الإنسانية" متفائلة جداً, تستشرف مستقبلاً زاهراً للأمة الإنسانية, وبصدد التدين الإنساني فإن الإنسانيين الدينين ينطلقون في ذلك من قناعة مفادها: أن الدين يلعب دوراً وظيفياً في حياة الإنسان أقوى من الدور الذي تلعبه الآراء الفلسفية.

بعد الحرب العالمية الثانية، أصبح ثلاث إنسانيين بارزين, المدراء الأوائل لأقسام كبرى في الأمم المتحدة, جوليان هكسلي لليونسكو، بروك تشيشولم لمنظمة الصحة العالمية، وجون بويد أور لمنظمة الأغذية والزراعة. هكسلي على وجه الخصوص، دعا لرؤية إنسانية عالمية, في بحثه (اليونسكو, فلسفتها والغرض منها), أشار إلى ضرورة تجاوز الفلسفات التقليدية، الدينية، والمذاهب السياسية والاقتصادية, وأهمية الاعتراف بالأساس التطوري للثقافة والعلم، وأكد على وجوب تكاملها مع غيرها من الأنشطة البشرية، وأشار إلى وجوب أن تكون الفلسفة العامة لليونسكو هي الإنسانية العلمية, لكن جهد هكسلي نجح جزئياً فقط, ممثلي الدول تمسكوا بالآراء القومية والتقليدية, وتخلصوا من الجوانب

الإنسانية في اقتراحاته.

في أوروبا ما بعد الحرب، نشأت المنظمات الإنسانية العلمانية والإلحادية في عدد من البلدان، لاسيما بلجيكا، وإيطاليا، وهولندا. ثم في عام ١٩٥٢، في جامعة أمستردام، وبرئاسة هكسلي, تم أول تجمع إنساني دولي, أكثر من ٢٠٠ من قادة المنظمات الإنسانية, إضافةً لشخصيات إنسانية بارزة, من مختلف أنحاء العالم، شكلوا الاتحاد الإنساني و الاخلاقي الدولي, وهو ما يمثل أكثر من ٣ ملايين إنساني حول العالم، وتم في ذلك الاجتماع وضع مجموعة مبادئ أساسية متفق عليها تحدد شكل الإنسانية بالنسبة للإتحاد الدولي سمي بإعلان أمستردام, ولاحقاً وفي عام ٢٠٠٢ تم تحديث ذلك الإعلان بإجماع المؤتمر العام للأتحاد. واليوم تشارك هذه المنظمة في مشاريع العمل الاجتماعي, في أرجاء مختلفة من العالم النامي, وهي عضوة في مجلس أوربا والاتحاد الاوربي والأمم المتحدة, وتشكل حالياً مظلة دولية للمنظمات الإنسانية الوطنية والإقليمية حول العالم.

من ثم وفي عام ١٩٧٣ نُشرَ البيان الإنساني الثاني, كتب بواسطة الفيلسوفين)بول كورتز و إدوين ويلسون) ووقع عليها مجموعة كبيرة من المفكرين و العلماء و الفلاسفة, كان الهدف منه إيجاد صياغة إنسانية جديدة, بديلاً عن البيان الإنساني الأول, حيثُ إن البيان يبدأ بمقدمة مفادها: أن البيان السابق كان متفائلاً جداً, لكن تجاوزات النازية و أفعالها الوحشية إضافةً إلى قمع الدول الشمولية لحقوق الإنسان وتفشي العنصرية وازدياد الفقر بإطراد, هو ما دعا إلى إيجاد صيغة جديدة واقعية في آمالها وأكثر دقة مفاهيمياً. ووضعت هذه الوثيقة أبرز ملامح النزعة الإنسانية الملحدة, وتجاهلت تحديدها بأنها حركة دينية أم علمانية, وارتكزت إلى رفض الفكر الديني التقليدي و الخارق للطبيعة " لا يوجد إله ينقذنا لذا يجب علينا ان ننقذ أنفسنا."، وإلى مفهوم الفردانية بصياغته الإنسانية وهو في تأكيدها على استقلالية الفرد إلى أقصى حد ممكن بالتناغم مع المسؤوليات الاجتماعية, وإلى السُبل العلمية و العقلانية باعتبارها الطريق الوحيد المؤكد لمعرفة الوجود وتحسين ظروف الحياة وتطوير أساليب العيش, كذلك توجهت نحو الدعوة إلى مجتمع عالمي قائم على السلام ورفض العنصرية والاحتكام إلى محكمة دولية في حالات النزاع دون اللجوء إلى العنف, وحددت موقفاً يقف على مسافة واحدة من كلا التوجهين الاقتصاديين الرئيسيين الشيوعية والرأسمالية.

وفي عام ١٩٧٩ أسس الفيلسوف الشهير الإنساني الملحد بول كورتز حركة جديدة, تحت مسمى مجلس للإنسانية العلمانية والديمقراطية ولاحقاً مجلس للإنسانية العلمانية, وكتب كورتز في عام ١٩٨٠ الإعلان الإنساني العلماني, ونشرتْ تلك الوثيقة بتوقيع عدد كبير من المفكرين الملحدين وعلماء الفيزياء والكون و البايولوجيا والأحياء وفلاسفة أكاديميين من مختلف دول العالم, ونشطاء في مجالات إنسانية و فلسفية عدة. هذا الإعلان شكل صياغة أخرى لروح البيان الإنساني الثاني وبصورة ناجحة نوعاً ما شكل تعريفاً عاماً للنزعة الإنسانية العلمانية أي تلك الإنسانية اللادينية الملحدة. أما في نهاية القرن العشرين وفي عام ١٩٩٦, اعتمدت الجمعية التشريعية العامة للاتحاد الإنساني و الاخلاقي الدولي, بيان الحد الأدنى من الإنسانية, وهو بيان تعريفي يوضح بالحد الأدنى معنى كلمة الإنسانية ونصه: "الإنسانية هي الديمقراطية، والموقف الأخلاقي في الحياة، والذي يؤكد أن للبشر الحق والمسؤولية لاختيار شكل و معنى معينين لحياتهم. إنها تقف من أجل بناء مجتمع أكثر إنسانية من خلال الأخلاقيات المبنية على أساس الإنسان والقيم الطبيعية الأخرى في روح من المنطق والتساؤل الحر من خلال القدرات الإنسانية, وليس الموافقة على الظواهر الخارقة المتبناة."، وهذا البيان يمثل أول تعريف عالمي للنزعة الإنسانية.

مصطلح (Humanism النزعة الإنسانية)

مصطلح (Humanism) هي كلمة أوربية, دلالاتها (الحالية) بدأت بالتشكل مع بداية عصر النهضة الأوربية, في خضم الحركة الإنسانية التي انطلقت في ايطاليا, و برغم هذه العراقة, فإنه من خلال تتبع الاصل التاريخي للمصطلح (Humanism) نلاحظ تطوراً دلالي حاصل في المفهوم منها, كذلك تطوراً في شكل الكلمة ذاتها. فعند العودة إلى اليونان القديمة, نلاحظ عبارة معينة تشر إلى (التعليم المتوازن) وهي (Enkiklia Paedia) وفكرة التعليم لدى اليونان تشير إلى المعارف الإنسانية القديمة المتمثلة في : القواعد اللغوية، البلاغة، المنطق، علم الأعداد، الفلك، التجانس الصوتي (Harmony) وهي معارف قدَّمتْ تقنية للتعليم و النقاش في عالم من دون كتب, يعتمد في سبله للمعرفة على المهارات الجدلية, والدقة في التفكير, و التمكن من اللغة. وكانت الكلمة اللاتينية التي اوضعها شيشرون مصطلحاً لفكرة التعليم المتوازن اليونانية هي (Humanitas) وأصبح مصطلح عصر النهضة الخاص بالمواد المدروسة في مجال اللغات والآداب الكلاسيكية, هو (Studia-Humanitatis) ومدرّس تلك الدراسات كان يسمى (Humanist) إنساني, وكانت الدراسات (الإنسانية) تشير في القرن الخامس عشر إلى دراسة القواعد اللغوية والبلاغة والتاريخ والأدب والفلسفة الأخلاقية، و هي كانت تتكون من قراءة النصوص اللاتينية الخاصة بالعصر الكلاسيكي ما قبل المسيحي، وتشتمل أيضاً على الترجمات اللاتينية اليونانية، و النصوص اليونانية القديمة نفسها. أما كلمة (Humanisime) فلم تكن معروفة, فقد صاغها المفكر التربوي الألماني ليثامر عام ١٨٠٨ أثناء مجادلة حول مكانة الدراسات الكلاسيكية في التعليم الثانوي, وأشتقَ منها (Humanisme) في الفرنسية و (Humanism) في الإنكليزية.

(Humanism) أُستخدمتْ على نطاق واسع في السنوات الأولى من القرن العشرين وقد ظهرت بشكل جلي في البيان الإنساني الاول (Humanist Manifesto I) ١٩٣٣ وفي ١٦ يوليو ١٩٨٨ أصدرت الجمعية التشريعية العامة للإتحاد الإنساني و الأخلاقي الدولي IHEU بياناً للتأكيد على الاستخدام الحصري لكلمتي إنساني (Humanist) وإنسانية (Humanism), ثمانية حروف فقط وبالحرف الكبير في أوّلها للدلالة على النزعة الإنسانية و التي يتمسك بها الإتحاد الإنساني و الاخلاقي الدولي.

- مقابل مصطلح (Humanism) في العربية

أختلف الكتاب و المثقفين و المترجمين العرب فيما بينهم حول الكلمة التي يضعونها مقابلاً للمصطلح الأوربي ((Humanism, و الحقيقة إن هذا الاختلاف سبب الكثير من اللغط و التشويش لدى القارئ و حتى عند بعض الكتاب, و بهذا الصدد يقول الأستاذ/ عبد المنعم الحفني على هامش ترجمته لمحاضرة الفيلسوف جان بول سارتر (الوجودية مذهب إنساني) يقول الحفني: "يترجم بعضهم ((Humanism بالإنسية أو المذهب الإنسي و يترجمها آخرون بأنها المذهب الإنساني, وأوثر أنا أن أترجمها بالهيومانية تميزاً لها عن أي خلط بالمعاني الأخرى".

إلا أنه ملاحظ في التاريخ الثقافي العام ترجمت هذه الكلمة ((Humanism بالنزعة الإنسانية وهو ما يقوله الفيلسوف الوجودي عبد الرحمان بدوي و المفكر حازم خيري, غير إن حازم خيري أعتمد الإنسية وهو المصطلح الذي صكه الأستاذ / فواز طرابلسي في أطار ترجمته لمؤلف الراحل أدورد سعيد (الإنسنية و النقد الديمقراطي), أما المفكر المصري إسماعيل مظهر فقد ناد باعتماد النشورية كترجمة للمصطلح ((Humanism, و برأيه مصطلح النشورية الأكثر تعبيرا عن مضمون تلك الحركة الفكرية المشار إليها آنفاً, فالنشورية من النشور بمعنى البعث، وبالتالي هي الأكثر تعبيرا عما قصد إليه المصطلح الغربي من إحياء الآداب القديمة وبعث الإنسان من رقاد القرون المظلمة هذا برأي إسماعيل مظهر.

البعض الأخر ترجموا مصطلح ((Humanism بالإنسانوية خصوصاً نجد هذه الكلمة في أطار ترجمة الأدبيات الشيوعية و يعتمدها اليوم بعض الباحثين و الكتاب و المدونين, وتُفسر على إنها "ميل للأخلاقيات الإنسانية".
واستخدامي لكلمتي (النزعة الإنسانية) و (الإنسانية) ترجمة لـ ((Humanism , ليس من باب القناعة أن الكلمات العربية هذه هي المعبرة عن مضمون هذه الحركة الفلسفية, إنما هو ايضاً يأتي في سياق اللغط الحاصل, كوني لم أجد أية ترجمة من تلك الترجمات معبرة عن معنى هذا المصطلح بصورة ممتازة. رغم إني أجد (الهيومانية) أفضل تعريب ممكن ذلك لأنها ليست كلمة عربية وتبقي على دلالتها في أصلها الغربي, تخلصاً من الجدال.

المصادر والمراجع:

An Introduction to Humanism – by Jim Herrick -Publisher: Prometheus Books London 2005 1-

The Philosophy of Humanism – by Corliss Lamont 2-

http://www.corliss-lamont.org/philos8.pdf

The Saga of Freethought and Its Pioneers: Religious Critique and Social Reform – by Fred Edwords 3-

http://www.americanhumanist.org/humanism/Saga_of_Freethought_and_Its_Pioneers

Humanist Manifesto I 4-

http://www.americanhumanist.org/humanism/Humanist_Manifesto_I

Humanist Manifesto II 5

http://www.americanhumanist.org/humanism/Humanist_Manifesto_II

A Secular Humanist Declaration 6-

http://www.secularhumanism.org/index.php?section=main&page=declaration

7-Amsterdam Declaration 2002

http://www.iheu.org/adamdecl.htm&usg=ALkJrhhOx3tQwKhntGGD8yGdbc1xY4E-7w

8-IHEU Minimum Statement on Humanism

http://www.iheu.org/minimum_statement.html&usg=ALkJrhjQf_L-CzD8MHxlRfoljrODNtl1Nw

.9-The Humanist Tradition in the West – by Alan Bullock

http://books.google.com.tr/books/about/The_Humanist_Tradition_in_the_West.

html?id=stOOQgAACAAJ&redir_esc=y

Humanism is Eight Letters, No More 10-

http://www.iheu.org/iheu-membership-and-dues-regulations

لا تسمع إلا الندب و العويل من (متنافقي) سوريا الجهابذة الذين انقسموا ضدين.. تجمعهما فقط السفينة السورية الآخذة بالغرق...
الموت عندهم موتان.. موت مستحق الدفع لمن هو في الطرف المقابل و لو كان طفلا.. و موت استشهادي عظيم لمن هو في طرفهم و لو كان قاتلا..

هكذا يتم (تدنيس المقدس) في « سوريا»، هكذا يشرعن القتل من أصحاب اللحى.. و هكذا تحولت الثورة السورية إلى صراع على الكرسي.. يبدأ بالوقوف دقيقة صمت على أرواح الشهداء(طبعا من الطرف ذاتـه).. و ينتهي بالوقوف دقيقة حافية لرؤية (صباط) أحد الآراء يدق في رأس رأي مخالف آخر.

حكاية أقلية في زمن تدنيس المقدس:
و زمن « تدنيس المقدس» لم ينته منذ القدم.. و لنا في التاريخ عنوان لا يعرفه جيل عولمة (الدردشة).. و المزرعة السعيدة..
و يسأل من لا زال يعتقد اللحى تريد عدالة.. لماذا تخاف الأقليات الآن ؟! و يضيفون أن أصحاب اللحى الذين يمسكون مستقبل « سوريا» اليوم من عنقه هم أصحاب تاريخ طويل في التسامح و العدالة.

لا لست ضد الدين.. أنا ضد من يستخدمون الدين لغرض التفريق بين الناس.. و تكريههم ببعضهم، ما هكذا تبنى الأوطان..
لا « الدين ليس هو الحل».. لأن الدين - أي دين- في القلب و علاقة مع الرب.. ليست للتداول و القياس.. ليست للإخضاع بالسوط و بالعنف...التسامح الديني و نبذ العنف هو حل في بحر حلول.
الثورات التي نادت بالحرية يجب أن تعلم أن ركوبها من قبل مازجي الدين و السياسة لن يؤدي إلا إلى بيع « الأوطان» في سوق للنخاسة...

تذكرة مقتبسة من التاريخ.. عما حدث في التاريخ:

)خلال فترة الحرب العالمية الأولى قام الأتراك بإبادة مئات القرى الأرمنية في محاولة لتغيير ديموغرافية تلك المناطق لاعتقادهم أن هؤلاء قد يتعاونون مع الروس والثوار الأرمن.
كما اجبروا القرويين على العمل كحمالين في الجيش العثماني ومن ثم قاموا بإعدامهم بعد انهاكهم. غير أن قرار الإبادة الشاملة لم يتخذ حتى ربيع ١٩١٥, ففي ٢٤ نيسان ١٩١٥ قام العثمانيون بجمع المئات من أهم الشخصيات الأرمنية في إسطنبول وتم اعدامهم في ساحات المدينة(
انتهى الاقتباس..
****

في البدايات كان من حق الجميع أن يطالب الأقليات بالوقوف من أجل الحرية، بنبذ الخوف و طلب العدالة..
اليوم ما عاد في الأوطان أقليات.. كلهم صاروا أكثرية مع الأكثرية..

بقينا نحن الأقلية الحقيقية.. الأقلية التي تكره الظلم أيا كان فاعله، تحتقر المنافق أيا كانت طائفته، و تدين القتل أيا كان مجرمه...

نحن الأقلية التي نبذت لأنها لم تتحزب و لم تسب.. لأنها رفضت جور القوة.. و نبش قبور السلف الصالح و الطالح و ما بينهما من (أسلاف) قتلت باسم « الله» المدهوش...

نحن الأقلية التي تقف لوحدها.. لا تلعنكم لأنها تريد للوطن النجاة، تريد له نهاية هذا الدور الدامي

كمسرح لتصفية صراعات عمرها آلاف السنين...

كلكم أكثريات مهما كانت طوائفكم.. أنتم أكثريات طالما لكم هذه الكراهية التي تحارب.. بينما نحن أقلية منبوذة تدفع ثمن كل كلمة للحب و العدل.

نحن أقلية تراكم تسرقون الوطن و تبيعونه في مزاد للأقوى...

نحن أقلية لكننا متحدون.. لن يميتنا الحقد الذي أعماكم.. ننتظركم حتى تقولوا ما شئتم لكن.. لا تشرعنوا القتل باسم الوطن (الواحد).
هامش:
يتهم السلطان العثماني «عبد الحميد الثاني « صاحب شعار (يا مسلمي العالم اتحدوا) بكونه أول من بدأ بتنفيذ المجازر بحق الأرمن وغيرهم من المسيحيين الذين كانوا تحت حكم الدولة العثمانية، ففي عهده نفذت (المجازر الحميدية).

هامشي:
لوحة « تدنيس المقدس» للرسام الأرمني «سورينيانتس فاردجس» Suren’iants, Vardges »
أهداها إلى أرواح شهداء المجازر التي ارتكبت بحق الأرمن..

يرجى التمحيص في دين مرتكبي المجازر.. فقط كي نعلم أنه منذ الأزل للقاتل نفس الهوية مهما اختلفت لغته.. ديانته.. لون شعره.. و خ..ياراته الأخرى.

الملحد مع الثورة السورية.

يرد السؤال عدة مرات سواء في التعليقات أو في الرسائل, ((كيف ملحد ومع الثورة السورية؟))
عندما اخترت الالحاد اخترت التحرر من ذلك القيد الديني الصدئ الذي فرض على عقلي منذ الصغر
ذلك اليوم, و لأول مرة في حياتي شعرت بالحرية, لكن, إزالة قيد الدين يفتح عقولنا على قيود لم نكن نراها من ذي قبل, قيودٍ شبيهة بذلك الديني بل و أشد منه

أسأل موالي أنظمة القمع, ماذا عن قيد الدكتاتورية ؟

أليس هو المسؤول الأول عن تردي الوضع الفكري لمجتمعاتنا, المسؤول عن الجهل و الفقر و البطالة و الأمية و بالتالي, نعم هو المسؤول عن التطرف الديني الذي تدّعون محاربته !

من الواضح أن -الصف الاول- من الموالين لا يشعرون بهذا القيد أصلاً, بل ويرون النظام حضارياً رائداً في العلمانية و حقوق الانسان, لذا لا جدوى من الرد عليهم

أما -الصف الثاني- من الموالين فهو يقف مع الأنظمة بحجة وجود أجندات خارجية, قوة التيار الديني المتشدد في الثورة, و عدم وجود أجندة و خطة مسقبلية واحدة و واضحة لدى المعارضة, و غيرها من الأسباب..

- لم أنكر ذلك, هي أخطار حقيقية تتخلل الثورة, بل و تجعلها تضعف و تتآكل من الداخل

لكن ما هو الحل؟

إذا كان من المرفوض لنا قطعاً أن نقف بجانب النظام الأمني ضد الثورة, لا البارحة ولا اليوم أو غداً, أن نعود لنظام القمع و الاستبداد و الفساد, و الوعود المقطرة الكاذبة بالإصلاح والتجديد.

كما هو من المرفوض أن نسلم ثورتنا التي بدأت سلمية علمانية و مدنية لأصحاب اللحى و السيوف.

من الواضح أن الملحد السوري بين نارين لا خلاف على ذلك.

لكن الملحد الحقيقي لا يضل طريقه, و لا يرضى بقيد على حساب آخر, يقول الموالون بأن نسبتنا قليلة في الثورة, هي ليست قليلة, العلمانيون أكثرية و الأيام ستثبت ذلك, و حتى لو صحَّ هذا الإدعاء بكوننا أقلية, فذلك لا يضعف من حجتنا ولا يبعدنا عن الثورة.

إن كان الملحدون الموالون يرون في كوننا أقلية أمراً يستوجب عودتنا لحضن النظام, فالأحرى بهم أن يرجعوا إلى حضن دين أبائهم, فالملحدون أيضاً أقلية في مجتمعاتنا!

في النهاية أريد أن أضيف نقطةً أخيرة, من شبه المستحيل معرفة نسبة الملحدين السوريين المعارضين\الموالين للنظام, نظراُ لعدم انتظامهم و تشتتهم و كون النسبة الأكبر منهم ملحدين بالسر, لكن من تجربتي الشخصية, من بين حوالي العشرين ملحداً أعرفهم شخصياً واحد منهم فقط موالي, و أؤكد على كلمة شخصياً لأني لو ضميت الملحدين الذين أعرفهم عبر الانترنت لكان العدد تضاعف عشر مرات!

((كيف ملحد ومع الثورة السورية؟)) سؤال خاطئ, الملحد مع الثورة السورية.



مع التطور - الذي لانعرفه- تم تغيير طريقة الدخول الى جنان الخلد ... المفتاح مابقا ينفع

تتوزع الآراء حول الأزمة السورية بين من يرى فيها ثورة، ومن يرى فيها حرب أهلية. سوف نحاول في هذه المقالة تقديم أطروحة لما يجري في سورية تتجاوز ثنائية الثورة / الحرب الأهلية.

نعتقد أنه لا يوجد تناقض جذري بين الصراع الأهلي والثورة. الثورة تحمل بداخلها، بالضرورة، عوامل صراع أهلي. في كل ثورة, يوجد وجه لصراع أهلي لا يجب التغاضي عنه.

في الحالة السورية, هناك حقيقة مأساوية لا يمكن نكرانها: هناك سوريون يقاتلون ويقتلون سوريين على أرضٍ سورية. السؤال كما نرى، هو ليس إن كانت توجد بوادر أو عوامل صراع أهلي في سوريا؟ هذا أمر حاصل، وقد نُسيء للثورة بإنكاره وتجاهله. المطلوب، بالأحرى، هو أن نطرح الأسئلة التالية: ما هي طبيعة الصراع الأهلي في سوريا؟ وما هي طبيعة العلاقة بين الثورة والصراع الأهلي؟ وهل يبتلع هذا الصراع الثورة ويغطيها؟

في طبيعة الصراع الأهلي في سوريا

بداية الصراع الأهلي الدائر في سوريا، ليس صراعاً طائفياً بحتاً. يبالغ المجتمع الدولي والإعلام (الغربي منه تحديداً) في تصوير الصراع على أنه صراع طائفي. نعتقد أن هذه القراءة تأتي ضمن منظومة استشراقيه مُتعالية، ترفض أن ترى أن للسوريين، أو للعرب بشكل عام, هويات فوق- طائفية. تبعاً للقراءة الإستشراقية تكون الحرب الطائفية قدراً للسوريين لا يمكن تغييره. الهويات الطائفية، في القراءة الغربية، وبعض القراءات المحلية، هويات ثابتة ما هوية، خارج التاريخ، وخارج أي سياق اجتماعي – اقتصادي.

نرفض هذه القراءة، لأنها أولاً وقبل كل شيء، غير مطابقة للواقع السوري.

هنا يجب أن نسجّل أنه ليس كل صراع أهلي هو صراع طائفي أو ديني بالضرورة. الحرب الأهلية الإسبانية، كانت صراعاً بين أنصار الجمهورية وأتباع فرانكو الفاشيين. الحرب الأهلية الروسية، التي أتت ضمن سياق ثورة ضد القيصر، كانت حرباً أهلية ضمن سياق ثورة. بدرجة ما، ينطبق ما سبق على الثورتين الليبية واليمنية.

نرى أنّ ما يجري في سوريا أقرب إلى الأمثلة السابقة, منه إلى حـرب أهلية طائفية مفتوحة. ليس في الشرق الأوسط خصوصية ما تجعله عرضة لصراعات طائفية بحتة كل ما أتيح لأبناء الطوائف التعبير عن أنفسهم، كما يرى الاستشراقين. على العكس من ذلك, نرى أن الصراع الطائفي يندرج ضمن سياق اقتصادي- اجتماعي يحيل إلى احتكارات وتمايزات في القوة والنفوذ ورأس المال. أحد أهم أسباب الصراع الأهلي هو ثورة السوريين على طبقة إقطاع جديدة استعبدتهم بشكل كامل. عموم السنة الثائرون مثلاً، يحرّكهم نزوع نحو العدالة الاجتماعية، والانتقام من هؤلاء الإقطاعيين، أكثر مما يحركهم شعور طائفي صافي بسنيتهم. أما ما يخص الطبقة الإقطاعية الحاكمة، فهي تضم طوائف مختلفة، تحظى فيها العائلة الحاكمة وحواشيها التي تنتمي إلى الطائفة العلوية بالنسبة الأكبر من العائدات والنفوذ. هذا التداخل بين ما هو اقتصادي-اجتماعي، وما هو طائفي، بحاجة لدراسة معمّقة.

في سوريا، نجد سوريون يتقاتلون من أجل مشاريع

سياسية مختلفة، وليس مجرّد مشاريع طائفية مغلّفة بمشاريع سياسية. بالطبع، يحمل البعض مشاريع سياسية ذات توجه ديني، ولبعضهم مشاريع طائفية. كما أن هناك كلام طائفي صريح على جانبي الصراع. ولكن، لا يمكن اختزال الصراع الأهلي بالصراع الطائفي، لأسباب متعددة. للصراعات الأهلية أبعاد متعددة, منها أبعاد داخلية، طائفية ودينية وأثنية وطبقية ومناطقية... إلخ، وبالطبع عوامل خارجية، إقليمية ودولية. كل هذه العوامل حاضرة في الصراع السوري. التوتر الطائفي يشكل أحد هذه الأبعاد فقط. محرّك الصراع الأهلي ليس طائفياً بحتاً. ما هو بالضبط علاقة الصراع الطائفي بالسياق الاقتصادي- الاجتماعي؟ هو السؤال الذي يجب أن نحاول الإجابة عنه. أما تصوير الصراعات الطائفية في المنطقة على أنها صراعات معزولة عن أي سياقات أخرى, فهو قراءة عنصرية، لا تحاول حتى فهم ما يجري على الأرض.

بالمقابل، يجب الاعـتراف بوجود توتر طائفي في سوريا، و بالتحديد توتر علوي – سني. كما يوجد بوادر صراع أهلي طويل الأمد. رد الفعل على مبالغات الإعلام الغربي، وادعاءات بعض الإسلاميين المتشددين، وبروباغندا النظام وحلفاؤه الإقليميين، يجب ألا تكون بتجاهل الاحتقانات الطائفية.

بالنتيجة، نرى أن إغفال عوامل الـصراع الأهلي، الطائفي وغير الطائفي، الطبقي والمناطقي وما إلى ذلك، يؤدي إلى عدم فهم طبيعة الأحداث الجارية في سوريا. كل ذلك يحتاج إلى دراسة تفصيلية ومعمّقة للواقع السوري. تصوير الصراع على أنه صراع طائفي بحت، خطأ، وهو مقصود في معظم الأحيان.

بين الثورة والحرب الأهلية «العبثية»؟

في الإعلام الغربي تم اعتماد مصطلح الحرب الأهلية لوصف ما يجري في سوريا. نجد هذا المصطلح مُكرراً أيضاً في توصيف الأمم المتحدة ومجلس الأمن ومنظمات دولية, كما في تصريحات المبعوث الأممي الأخـضر الابراهيمي التي تهدف لوقف العنف, بالإضافة لبعض العرب والسوريين أيضاً.

من متابعة الدارج في مقولات من يصف ما يجري في سوريا بالحرب الأهلية، نعتقد أن هؤلاء يرون الأحداث على النحو التالي: إنها معركة متكافئة بين طرفين، يسعى كل منهما للوصول إلى السلطة عن طريق العنف. بالإضافة إلى ذلك، كل طرف مسلّح مدعوم من قوى إقليمية ودولية لها مصالح مختلفة. هذه حرب بالوكالة على أرض سورية، يتم فيها استخدام السوريين كبيادق في حرب باردة بين تلك القوى. ومن يدفع الثمن هم السوريون الأبرياء، اللذين لا ناقة لهم ولا جمل. من جهة أخرى، الأطراف السورية التي يتم استغلالها تخوض حرباً طائفية، السنة المتشددون في مواجهة الطوائف الأخرى. مع الاعتراف، غالباً، ببشاعة وهمجية النظام، الذي يمثّل العلويين وبقية الطوائف، وحتى الأقليات العرقية في بعض الروايات. إلا أن هذه الهمجية تتساوى مع همجية المعارضين، اللذين يمثّلون التشدد السني والمجموعات الجهادية وصولاً إلى القاعدة. ما يخيف المجتمع الدولي (بأقطابه الداعمة للنظام أم المعارضة) هو أن يقوم هؤلاء السنة المتشددون, في حال نجحوا بالإطاحة بنظام الأسد, بقمع الطوائف الأخرى، إن لم يكن بإبادتها.

هذه هي إذن الحرب الأهلية، بكل بشاعتها. وإن لم يتم التوصل إلى اتفاق بين الأطـراف المتصارعة،

سوف يتم تدمير الدولة السورية بالكامل. لا منتصر في حرب أهلية، إلا الخراب. الحل الوحيد في سوريا هو المفاوضات. سوف ندعو هذا الوصف/ الرواية: الحرب الأهلية العبثية.

لكن خلافاً لهذه الرواية، نعتقد أن ما يجري في سوريا ثورة شعبية ضد نظام طغيان. نعترض على الوصف الوارد أعلاه للأسباب التالية:

أولاً، يتم مساواة الجلاد بالضحية ويختفي أي معنى أخلاقي للصراع. كما يتم تجاهل تاريخي للأحداث وتسلسلها، من أطفال درعا، إلى المظاهرات السلمية التي انتشرت تدريجياً لتصبح مظاهرات بمئات الآلاف في حماة ودير الزور، مروراً باعتصامات دوما والجامع العمري في درعا وساحة الساعة في حمص، وعشرات حالات القتل تحت التعذيب أثناء الاعتقال التعسفي، ومئات الأحداث التي أثبت فيها النظام عدم رغبته، أو قدرته، على تغيير سلوكه. بالإضافة لتجاهل تاريخ سوريا الحديث بالمجمل، منذ انقلاب الثامن من آذار، إلى«الحركة التصحيحية»، وتوريث بشار الأسد الحكم، ورفض حزب البعث، ثم العائلة الحاكمة، أي مشاركة سياسية مع أي طرف في البلد. بالإضافة إلى ذلك، نرى انه لا يمكن قراءة الثورة السورية بمعزل عن الثورات العربية الأخرى. الثورة السورية جزء من حركة شعبية عمت المنطقة تسعى للتحرر من أنظمة استبدادية وفاسدة. عندما يتم وصف ما يجري في سوريا بالحرب الأهلية فقط، يتم تجاهل كل ما سبق، والتركيز على المعارك الجارية بين الجيش النظامي والجيش الحر.

ثانياً، فيما يخص هذه المعارك و طبيعتها. لا يوجد حرب بالمعنى التقليدي في سوريا، حتى اللحظة أقله. يوجد مجموعات مسلّحة تواجه جيشاً نظامياً يمتلك طائرات ودبابات ومدّرعات، وصواريخ بالستية وأسلحة كيماوية، وقد استخدم معظم صنوف هذه الأسلحة ضد المدنيين العزّل والثوار المسلّحين دون أي تمييز يذكر. لا يوجد معركة تستند إلى ترسانتين متساويتين ولو تقريباً في سوريا. قلنا مراراً أن إطلاق اسم «الجيش الحر» على الثوار المسلّحين غير دقيق، فمصطلح المقاومة الشعبية المسلّحة أكثر دقة للتعبير عن الحالة السورية.

ثالثاً: وبالرغم من الطابع العسكري الذي طغى على الثورة السورية مؤخراً، إلا أن حصر وصف الأوضاع في سوريا بالحرب الأهلية يعني أيضاً إغفال مظاهر الحراك المدني والسلمي، التي مازالت تشكل مكوناً أساسياً في الحراك الشعبي ضد النظام. فإضافة إلى المظاهرات التي ما زالت تخرج كل ما كان ذلك مُتاحاً. هناك أشكال متعددة من العمل المدني، في مجال الإغاثة والإعلام والتنظيم السياسي، تتم بأشكال سرية في المناطق التي مازالت تحت قبضة النظام، وبشكل علني وأكثر تنظيماً في المناطق التي يديرها الثوار. هناك مئات الشبكات والتجمعات الشبابية التي تنشط في مجال التوثيق والعمل الإغاثي، ومنها ما ينشط في المجال الحقوقي والسياسي أيضاً، بالإضافة إلى عشرات الجرائد والمنشورات التي تُحرر وتُوزع في الداخل السوري. لا يرى معظم هؤلاء أنهم منخرطين في حرب عبثية, بل هم أصحاب مـشروع سياسي ديمقراطي.

ما يحصل في سوريا كان ومازال ثورة شعبية ضد نظام شمولي قمعي. نرى أن محاولة تصوير الأمور على أنها حرب أهلية عبثية هو أمر، وقبل الحكم على

صوابه الأخلاقي، يخالف الواقع ويؤثر على الحلول المطروحة. إن كانت ثورة، فالحل هو التخلص من الاستبداد. إن كان محض حرب أهلية، فالحل هو مفاوضات بين طرفين متساوين، وربما الجنوح إلى المُحاصصة!

الثورة السورية في أطوارها المختلفة، طريق طويل وشاق

يوجد أوجه مختلفة للصراع الأهلي في سوريا, داخل الثورة. لا يعني الاعتراف بعوامل الصراع الأهلي في سوريا, أنه لا يوجد ثورة، و أن ما يجري هو مجرد حرب أهلية عبثية. بعض الأمثلة المطروحة أعلاه، أي الصراعات الأهلية متعددة الأوجه في الثورات الروسية والفرنسية والليبية واليمنية، تجعلنا نعتقد أنه لا يمكن الفصل الكامل بين الثورة بوصفها سعي قطاعات واسعة من الجماهير لتغيير واقعها الرديء من جهة، وبين احتواء هذا السعي - في أطواره المختلفة - على أشكال من الحرب الأهلية من جهة أخرى. بمعنى أعم: معظم الثورات تحتوي على أوجه مختلفة لحروب أهلية. في معظم الثورات، نجد أن بعض أبناء البلد، لأسباب متعددة، يقفون إلى جانب القمع، أو على الحياد. لا يوجد ثورات صافية، بمعنى أن تجتمع كلمة الشعب بأكمله، فجأة ودون صراع، على التخلّص من نظام الحكم. هناك ثورات أسهل من غيرها، لأسباب مختلفة ومتعددة. ولكن لا يوجد ثورات بدون أشكال من صراع أهلي، بدون خاسرين، بدون رماديين وانتهازيين، وبدون شهداء.

لا يجوز للثوار، وبأي ذريعة، إنكار ملامح الصراع الأهلي، وبوادر الاصطفافات الطائفية الحادة، هذه تعمية لا تؤدي إلا إلى زيادة في تفاقم الأمور. لا أحد يجب أن يشعر بالحاجة إلى التجمل، فما يحدث في سوريا ليس حرب أهلية «عبثية»، ما يحدث هو ثورة بمخاض طويل وأطوار متعددة، إنها أطول الدروب وأكثرها وعورة لاستعادة الحرية.

أحافير مدهشة من جنوب إفريقيا قد تجدد الجدل حول الكيفية التي صرنا من خلالها بشرا.

في وقت من الأوقات ما بين ثلاثة ملايين ومليوني سنة خلت، ربما على أراضي السافانا القديمة في إفريقيا أصبح أسلافنا بشرا يمكن تمييزهم بجلاء. فلأكثر من مليون سنة ازدهر أسلافهم الأسترالوپيثيسيناتaustralopithecine - لوسي Lucy وسلالتها، التي كانت تمشي منتصبة الجسم مثلنا ولكنها ما زالت تمتلك ساقين قصيرتين ويدين متكيفتين لتسلق الأشجار وأدمغة صغيرة، وهي صفات تميز أسلافها القردة - في غابات القارة وأحراجها وما حولها. ولكن عالمهم كان آخذا في التغير. فقد سهّل تغير المناخ انتشار المروج العشبية، ونشأ عن الأسترالوپيثيسينات الأوائل سلالات جديدة. وقد طورت إحدى هذه السلالات سيقانا طويلة وأيديَ متكيفة لتصنيع الأدوات، وأدمغة كبيرة. وكان هذا جنسنا هومو Homo، أحد الرئيسيات الذي سيحكم الكوكب.

وعلى مدى عقود نقّب علماء الأنثروبولوجيا القديمة paleoanthropologists مناطق نائية في إفريقيا بحرص وتمعن بحثا عن الأحافير الممثلة لأبكر أفراد الجنس هومو، سعيا إلى فهم تفاصيل كيف برز فيها جنسنا. ولكن جهودهم لم تفض إلا إلى مكاسب متواضعة: عظمة فك هنا وحفنة من الأسنان هناك. ومعظم الأحافير التي تم الحصول عليها تنتمي بدلا من ذلك إما إلى الأسلاف من الأسترالوپيثيسينات أو إلى أفراد أحدث من الجنس هومو - مخلوقات، متقدمة جدا لا توضح التسلسل الذي أدى إلى نشوء سماتنا المميزة أو الضغوط الانتقائية التي أدت إلى ظهورها. لقد استعصى عليهم اكتشاف عينات يزيد عمرها على مليوني سنة وتضم عناصر هيكلية متعددة محفوظة كان يمكن لها أن تكشف عن كيفية تشكل بنية الجنس هومو. إن أفضل تخمين للعلماء هو أن التحوّل حدث في شرق إفريقيا، حيث وجدت الأحافير الأقدم التي تنتسب إلى الجنس هومو أن سمات هومو المميزة سمحت له بإضافة المزيد من اللحم في نظامه الغذائي - مصدر غني بالكالوريات (السعرات الحرارية) caloriesفي بيئة أصبحت فيها الفواكه والبذور (المكسرات) نادرة. ولكن مع قلة الأدلة الضرورية للاستدلال بقي أصل جنسنا على غموضه المعهود.

يعتقد <L. برگر> [وهو عالم أنثروبولوجيا قديمة، في جامعة ويتواترسراند بجوهانسبيرگ في جنوب إفريقيا] أنه وجد قطعة كبيرة من اللغز، حيث اكتشف حديثا مجموعة نفيسة من الأحافير يعتقد مع فريقه أنها يمكن أن تحدث ثورة في فهم الباحثين لجذور الجنس هومو. فمن بين جوانب الجدران البيضاء للغرفة ٢١٠ في معهد تطور الإنسان(١) التابع للجامعة يراقب <برگر> <B. وود> [من جامعة جورج واشنطن] وهو يخطو أمام أربعة صناديق من البلاستيك تم نقلها من خزنتها المضادة للحريق ووضعها على طاولة مغطاة بمخمل من اللون الأزرق الملكي. الصناديق المبطنة بالفلين مفتوحة، وتكشف عما تحويه من الأحافير التي يعود عمرها إلى ما يقرب من مليوني سنة. الأول يحوي عظام الحوض والساق. والثاني يحتوي على أضلاع وفقرات. والثالث يعرض عظام ذراع وترقوة واحدة. أما الرابع فيؤوي جمجمة. وعلى منضدة مقابلة للطاولة، يوجد المزيد من الصناديق التي تحوي أجزاء من هيكل ثان غير كامل بما في ذلك عظام يد كاملة تقريبا.

يتوقف <وود>، وهو شخصية مؤثرة جدا في هذا الميدان، أمام الجمجمة وينحني فوقها لإلقاء نظرة فاحصة. يمسد لحيته وهو يتفحّص الأسنان الجيدة التشكل، والجمجمة بحجم ثمرة الگريپفروت. ومن ثم يستقيم في وقفته وهو يهز رأسه قائلا ببطء وكأنه يكلم نفسه: «نادرا ما تعوزني الكلمات، ولكن مدهش، فقط مدهش.»

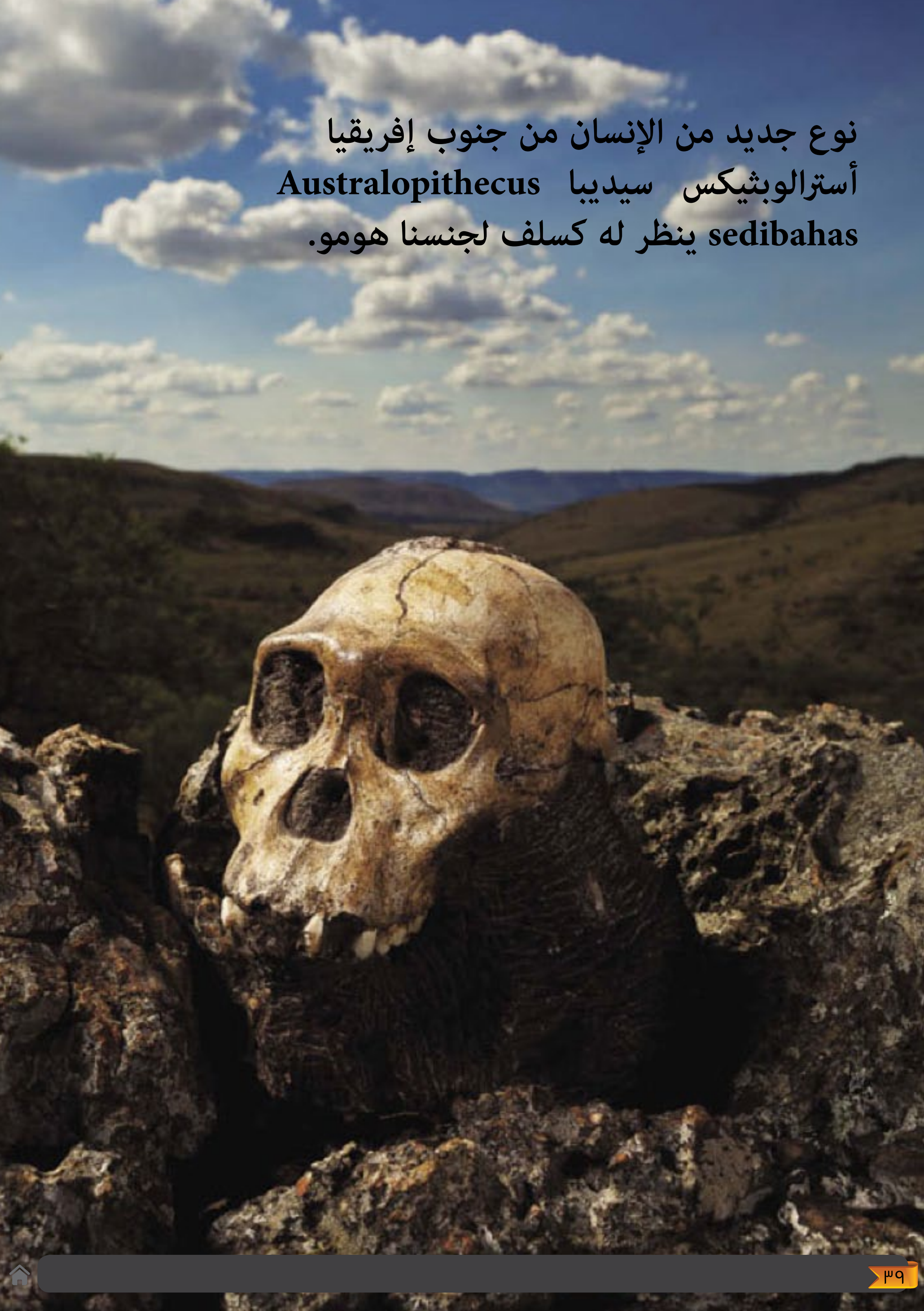
يبتسم <برگر> ابتسامة عريضة. لقد رأى رد الفعل هذا من قبل. فمنذ أن كُشف النقاب عن المكتشفات في عام ٢٠١٠، تدفق

العلماء من جميع أنحاء العالم إلى مختبره ليحدقوا بذهول في الأحافير المثيرة. واستنادا إلى المجموعة التشريحية الفريدة التي تقدمها هذه الهياكل العظمية، نسب <برگر> وفريقه البقايا إلى نوع جديد، أسترالوپيثيكس سيديبا australopithecus sediba. وقد اقترحوا، إضافة إلى ذلك، أن الاجتماع الواضح في العظام بين سمات الأسترالوپيثيكس البدائية وسمات الجنس هومو المتطورة يؤهل النوع إلى أن يحتل مكانا متميزا في شجرة العائلة: بوصفه سلفا للجنس هومو. إن الرهانات كبيرة. فإذا كان <برگر> محقا، سيتعين على علماء الأنثروبولوجيا القديمة أن يعيدوا التفكير كليا في أين ومتى وكيف كانت بداية الجنس هومو - وما هو معنى أن تكون إنسانا في المقام الأول.

الطريق الذي لم يُسلَك

في منتصف الطريق الترابي الذي تتناثر فيه الصخور والذي يتعرج عبر محمية جون ناش الطبيعة، يوقف <برگر> السيارة (الجيب) ويشير إلى طريق أضيق يتفرع منه إلى اليمين. فعلى مدى ١٧ عاما كان يقوم برحلة الأربعين كيلومترا باتجاه الشمال الغربي من جوهانسبيرگ إلى قطعة من الأرض البرية ذات الملكية الخاصة والتي تبلغ مساحتها ٩٠٠٠ هكتار وكان يتجاوز هذا الطريق الفرعي، متابعا على طول الطريق الرئيسي، متجاوزا مواطن الزرافات والخنازير البرية والظباء، إلى كهف كان يستكشفه لا يبعد عنها إلا بضعة كيلومترات يدعى گلاديسڤالGladysvale. وفي عام ١٩٤٨ جاء عالما الأحافير الأمريكيان <F. پيبودي> و<Ch. كامب> إلى هذه المنطقة للبحث عن أحافير البشريات hominins (أفراد الإنسان الحديث وأقرباؤه المنقرضون) بناء على نصيحة من عالم الأحافير الجنوب إفريقي الشهير <R. بروم> الذي كان قد وجد أمثال هذه الأحافير في كهفي ستركفونتاين Sterkfontein وسوارتكرانس Swartkrans على بعد ثمانية كيلومترات. لم يكن <پيبودي> معجبا بالمواقع الأحفورية هنا البتة، لدرجة ظن فيها أن <بروم> قد أرسلهم في حملة لا طائل منها. ولم يعرف <برگر> أو المستكشفون من قبله أنهم لو اتبعوا هذا الممر الأضيق - (أحد مسارات عمال المناجم المتعددة التي استخدمت في وقت من القرن التاسع عشر لنقل الحجر الجيري، الذي بنيت منه أبنية جوهانسبيرگ، من مقالعه إلى الطريق الرئيسي) - لكانوا قد وقعوا على اكتشاف العمر.

لم يتخيل <برگر> مطلقا [الذي يبلغ الآن ٤٦ سنة من العمر] أنه سيجد شيئا مثل أسترالوپيثيكس سيديبا. فعلى الرغم من أنه كان يعتقد أن جذور (أصول) هومو قد تكون في جنوب إفريقيا بدلا من شرق إفريقيا، فقد كان يعلم أن احتمالات إيجاد لـقية كبيرة كانت ضئيلة. إن أحافير البشريات نادرة للغاية، ولذلك بحسب قوله: «لم يكن لدينا أي توقعات». وما هو أكثر من ذلك، كان يركز على ما يدعى مهد الجنس البشري Cradle ofHumankind، وهي منطقة سبق أن تم استكشافها بكثافة والتي قدمت كهوفها ولفترة طويلة أفرادا من الأسترالوپيـثيسينات australopithecines التي كان يعتقد أنها أبعد من حيث القرابة عن الجنس هومو من الأسترالوپيثيسينات الشرق إفريقية التي تبدو أقرب للجنس هومو. وهكذا استمر <برگر> في العمل بجد في كهف گلاديسڤال يوما بعد يوم، وعاما بعد عام. وبسبب أنه وجد القليل من أحافير البشريات بين الملايين من الأحافير الحيوانية في هذا الكهف – فقط مجرد بقايا للنوع أسترالوپيثيكس أفريكانس A. africanus - فقد شغل نفسه في هدف آخر: ألا وهو تأريخ dating الموقع. فالمشكلة المهمة التي واجهت تفسير أحافير البشريات الجنوب إفريقية كانت أن العلماء لم يكونوا قد وجدوا بعد طريقة يحددون من خلالها عمر هذه الأحافير بصورة موثوقة. ففي شرق إفريقيا، تأتي أحافير البشريات من رواسب تقع بين طبقات من الرماد البركاني التي غطت الموقع أثناء الانفجارات البركانية التي حدثت منذ زمن بعيد. ويمكن أن يتأكد الجيولوجيون من عمر طبقة الرماد بتحليل «بصمتها» الكيميائية. وبذلك فإن عمر الأحفورة المستخرجة من طبقة من الرواسب تتموضع بين طبقتين من الرماد البركاني هو قيمة وسطى بين عمري طبقتي الرماد. ولكن مواقع الكهوف في منطقة «مهد الجنس البشري» تفتقر إلى وجود طبقة الرماد البركاني. ومع ذلك ومن خلال ١٧ عاما من التجريب في كهف گلاديسڤال وجد <برگر> وزملاؤه تقنيات لحل مشكلة عدم توفر الرماد البركاني لاستخدامه في التأريخ.



نوع جديد من الإنسان من جنوب إفريقيا
أسترالوبثيكس سيديبا Australopithecus
sedibahas ينظر له كسلف لجنسنا هومو.

لم يمض وقت طويل حتى أثبتت هذه التقنيات فائدتها. ففي اليوم الأول من الشهر ٢٠٠٨/٨، وبينما كان <برگر> يقوم بمسح المحمية reserve بحثا عن مواقع أحفورية جديدة محتملة في المنطقة التي كان قد حددها باستخدام برنامج گوگل إرث Google Earth، انعطف <برگر> يمينا ليأخذ ممر عمال المناجم الذي كان قد اعتاد تجاهله مدة ١٧ عاما وتابع سيره فيه إلى أن قاده إلى حفرة أبعادها ثلاثة أمتار في أربعة أمتار كان عمال المناجم قد فجروها. وبينما كان يحدق في الموقع وجد عددا قليلا من الأحافير الحيوانية، كانت كافية لتبرير زيارة ثانية لإلقاء نظرة أكثر تمعنا. ففي يوم ٨/١٥ عاد مع ابنه <ماثيو> [الذي كان عمره وقتها تسع سنوات] وكلبه تاو. انطلق <ماثيو> وراء كلبه تاو إلى الحرش وخلال دقائق صرخ مناديا والده ليعلمه أنه عثر على أحفورة. شكك <برگر> في أن تكون شيئا ذا أهمية - ربما مجرد عظم ظبي، ولكن في خطوة لإظهار الدعم الأبوي، شق طريقه إليه ليعاين اللقية. وهناك كان يبرز - من قطعة كبيرة من الصخر الداكن التي تقع في وسط الحشائش الطويلة بالقرب من جذع شجرة ميتة ضربتها صاعقة - طرف من عظم الترقوة.

وحالما رأى <برگر> العظم، عرف أنه ينتمي إلى البشريات. ففي الأشهر التي تلت ذلك، وجد المزيد من عظام الهيكل الذي يعود إليه عظم الترقوة، إضافة إلى هيكل عظمي آخر غير كامل على بعد ٢٠ مترا من حفرة عمال المناجم. استحصل <برگر> وفريقه من الموقع، حتى الآن، على أكثر من ٢٢٠ عظمة من عظام أسترالوپيثيكس سيديبا – أكثر من جميع عظام جنس هومو المبكر المعروفة مجتمعة. فقد أعطى اسم مالاپا Malapa للموقع، وهذا الاسم يعني في لغة سيسوتو المحلية «العزبة» homestead. وباستخدام المقاربات التي جرى تحسينها في كهف گلاديسڤال، قام الجيولوجيون في فريق <برگر> فيما بعد بتحديد عمر بقايا المستحاثات بدقة كبيرة حيث قدر بنحو ١,٩٧٧ مليون سنة خلت بزيادة أو نقصان قدرها ٢٠٠٠ سنة.



<L. برگر> (في اليسار) و <M. كجاسي> (في اليمين) يعاينان حفرة عمال المناجم عند موقع مالاپا، حيث اكتشف <برگر> أسترالوپيثيكس سيديبا (١). كتل الرواسب الفتاتية المتكلسة الشبيهة بالخرسانة، التي أزاحها عمال المناجم، سيجري تفريسها (تشخيصها) بالتصوير الطبقي المحوري المحوسب CT-scanned لمعرفة فيما إذا كانت تحتوي على أحافير (٢). منظر يبيّن وديان منطقة مالاپا وحولها، شمال غرب جوهانسبيرگ في جنوب إفريقيا (٣).

سلف مُرقّع

إن أهمية احتواء أحافير موقع مالابا على عدد كبير من أجزاء الجسم تعود إلى أنها يمكن أن تقدم تبصرات فريدة في الترتيب الذي ظهرت فيه سمات هومو الأساسية. وما تظهره هذه السمات بشكل واضح جدا هو أن ملامح الإنسان الجوهرية لم تتطور بالضرورة كمجموعة متكاملة، كما كان يعتقد. لنأخذ، على سبيل المثال، الحوض والدماغ. تقول الحكمة التقليدية إن حوض pelvis الأسترالوپيثيسينات المسطح والواسع تطور إلى حوض على شكل التجويف الذي يلاحظ في جنس الهومو ذي الدماغ الأكبر، وذلك للسماح بولادة أطفال برؤوس أكبر. ومع ذلك فإن الأسترالوپيثيكس سيديبا يمتلك حوضا واسعا مشابها لحوض الجنس هومو وقناة ولادة واسعة بالترافق مع دماغ صغير - نحو ٤٢٠ سنتيمترا مكعبا فقط، ما يعادل ثلث حجم دماغنا. يظهر هذا الترافق أن ازدياد حجم الدماغ لم يكن له أي دور مؤثر في تحول شكل الحوض في سلالة أسترالوپيثيكس سيديبا.

لاتمزج أحافير أسترالوپيثيكس سيديبا فقط بين نسخ قديمة وأخرى جديدة لملامحها العامة، مثل حجم الدماغ وشكل الحوض، بل إن هذا النمط يتكرر على مستويات أعمق، بما يشبه التشعبات التطورية evolutionaryfractal. ويبين تحليل باطن قحف دماغ الذكر الفتي أن لدى دماغه، على الرغم من أنه صغير، منطقة جبهية أكبر من قبل، مما يشير إلى حالة متقدمة من إعادة التنظيم (إعادة التطور) للمادة الرمادية؛ وأن الطرف العلوي للأنثى البالغة يجمع بين ذراع طويلة - وهي صفة بدائية محفوظة من سلف قاطن للأشجار وأصابع قصيرة ومستقيمة تكيفت لصنع واستخدام الأدوات (على الرغم من أن علامات العضلات على العظام تشهد على قدرات قبض قوية شبيهة بقدرات القرود). وفي بعض الحالات يبدو التناقض في الجمع بين القديم والحديث غير ممكن أبدا لدرجة أنه لو لم تكتشف العظام متصلة ببعضها بعضا، فإن تفسير الباحثين لها كان سيتم على أساس انتمائها إلى مخلوقات مختلفة عن بعضها كليا. على سبيل المثال، يجمع القدم بين عظم كعب شبيه بعظم كعب قدم قرد قديم مع عظم كاحل شبيه بعظم كاحل الجنس هومو، وفقا لأحد أعضاء فريق كهف مالابا <B. زيبفل> [من جامعة ويتواترسراند]. وهذا أمر يصفه <برگر> كما لو أن التطور كان يلعب لعبة الخلط العشوائي (يلعب لعبة مستر پوتيتو هيد(٢)).

ويقول <برگر> إن التبرقش(٣) (الفسيفسائية) mosaicism المفرط الواضح لدى الأسترالوپيثيكس سيديبا ينبغي أن يكون درسا لعلماء الأنثروبولوجيا القديمة. فلو أنه وجد أي عدد من عظام هذا الجنس في عزلة عن بعضها لكان صنفها بشكل مختلف. فاعتمادا على الحوض، كان من الممكن أن يسميه الإنسان المنتصب Homoerectus، ويوحي عظم الذراع وحده أنه قرد من القرود. وعظم الكاحل هو نسخة مطابقة لعظم كاحل إنسان حديث. وبذلك كان خطؤه شبيها بخطأ الرجال العميان (المكفوفين) الذين يتفحصون الأجزاء المختلفة للفيل منفردة. ويتابع <برگر> مؤكدا «يُبيِّن سيديبا sediba أن أحدا لم يعد قادرا على إسناد عظام معزولة (منفصلة) إلى جنس ما.» وهذا يعني، في رأيه، أن لقى finds مثل الفك العلوي الذي يعود عمره إلى ٢,٣ مليون سنة من حدار في إثيوبيا، والذي قُدِّم على أنه الأثر الأقرب للجنس هومو لايمكن أن نتخذه بصورة أكيدة على أنه ينتمي إلى سلسلة نسب هومو.

إن استبعاد ذلك الفك من العملية من شأنه أن يجعل أسترالوپيثيكس سيديبا أقدم من أي أحفورة من أحافير هومو التي جرى تحديدها بصورة جيدة، ولكنه لا يزال أحدث عمرا من أسترالوپيثيكس آفارنسيس A. afarensis، وهذا يضعه في موقع مركزي بالنسبة إلى السلف المباشر للجنس هومو، كما يؤكد فريق <برگر>. إضافة إلى ذلك، وعند الأخذ بالحسبان ملامح أسترالوپيثيكس سيديبا المتطورة، يقترح الباحثون أنه يمكن أن يكون سلفا للإنسان المنتصب على وجه الخصوص (والذي يعتبر البعض جزءا منه على أنه نوع مختلف يدعى الإنسان العامل H.ergaster). وهكذا، وبدلا من وجهة النظر التقليدية أن أسترالوپيثيكس آفارنسيس ولّـد الإنسان الماهر H.habilis، والذي بدوره ولـد الإنسان المنتصب، يؤكـد هذا الفريق أن أسترالوپيثيكس أفريكانس هو السلف

المرجح (المحتمل) للنوع أسترالوپيثيكس سيديبا، الذي ولّد بعد ذلك الإنسان المنتصب.

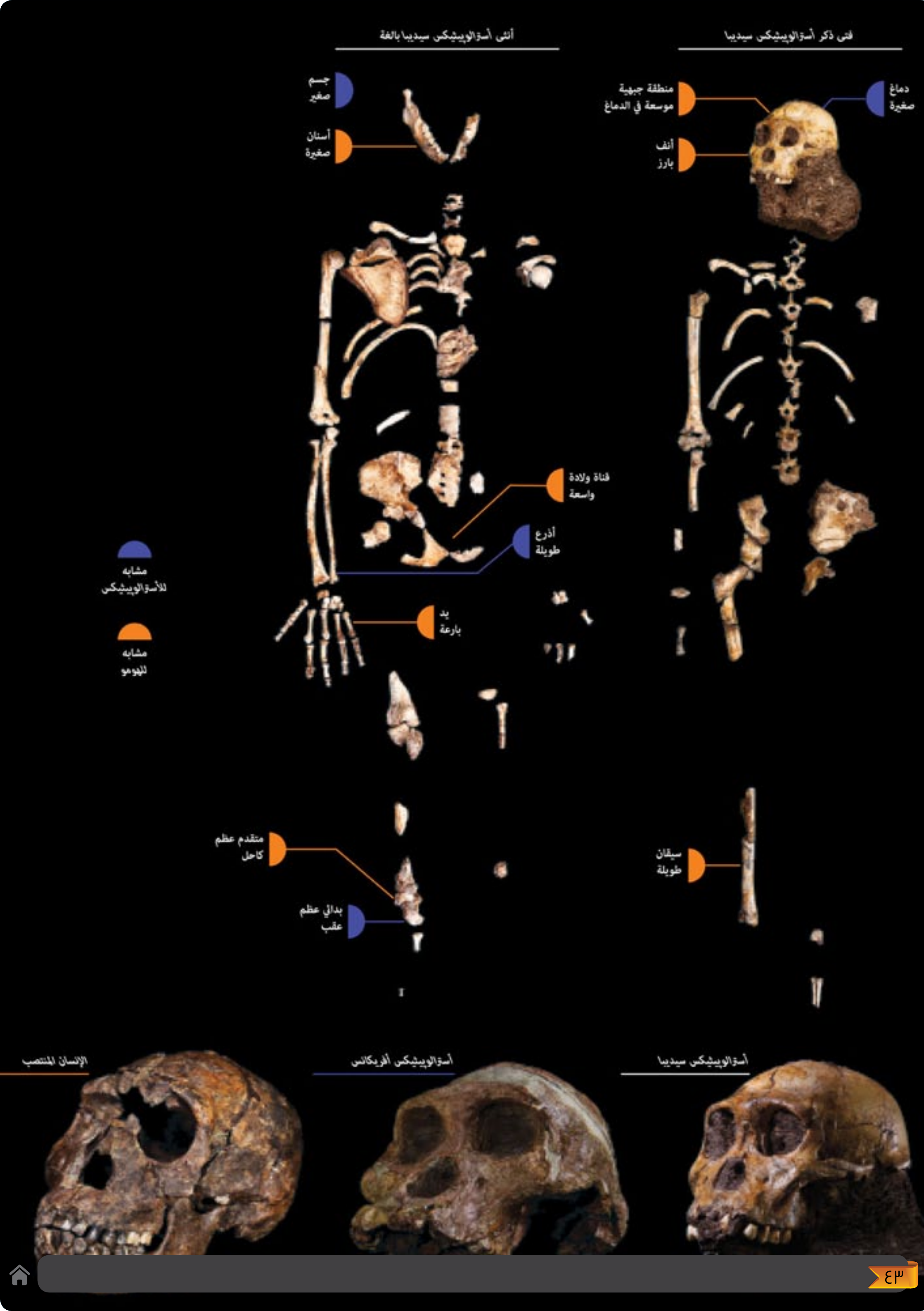
وإذا كان الأمر كذلك، فإن هذا الترتيب سيقصي الإنسان الماهر إلى فرع جانبي مسدود النهاية من شجرة عائلة البشر. كما يمكن حتى أن تركل أسترالوبيثيكس آفارنسيس - الذي اعتبر لمدة طويلة السلف لجميع البشريات الأحدث عمرا، بما في ذلك أسترالوپيثيكس أفريكانس وهومو - إلى طرف مهمل من الطريق التطوري. ويشير <برگر> إلى أن عظم عقب أسترالوپيثيكس سيديبا هو أكثر بدائية من ذلك الموجود في أسترالوبيثيكس آفارنسيس، مما يشير إلى أن أسترالوپيثيكس سيديبا قد خضع إما إلى انعكاس تطوري نحو عظم عقب أكثر بدائية أو أنه انحدر من سلالة مختلفة عن تلك التي تتضمن أسترالوپيثيكس آفارنسيس وأسترالوپيثيكس أفريكانس - سلالة يتعين عليه اكتشافها.

يقول <برگر> [الذي ترعرع في مزرعة بسيلڤانيا بولاية جورجيا] ساخرا: «في الجنوب، لدينا مثل يقول: سترقص مع الفتاة التي أحضرتها معك، وهذا ما كان يفعله علماء الأنثروبولوجيا القديمة في محاولتهم حل لغز أصل الجنس هومو من الأحافير التي اكتشفت في شرق إفريقيا». وأضاف: «علينا الآن أن نعترف بتوفر احتمالات أكبر هناك». وربما تكون قصة الجانب الشرقي عن أصل الإنسان غير صحيحة. وبحسب الاعتقاد التقليدي تمثل أحافير البشريات الأقدم في جنوب إفريقيا تجربة تطورية منفصلة أخفقت في نهاية الأمر. وأسترالوپيثيكس سيديبا يمكن أن يقلب الطاولة ويكشف، في جنوب إفريقيا، عن وجود سلالة أخرى، السلالة التي أعطت في النهاية الجنس البشري كما نعرفه - (وسيديبا sediba في الواقع هي كلمة في لغة السيسوتو تعني «المنبع» أو «الينبوع»).

[لـقى (مكتشفات)]

مزج وتطابق

تبدي هيــاكــل الأسترالوپيثيكس سيديبا مزيجا غير متوقع كليا من سمات جنس الأسترالوپيـثين australopithecine وســمــات جنـــس الهومو، والأمثلة على ذلك مبينة هنا. اعتقد العلماء سابقا أن ملامح هومو كالأذرع القصيرة والأيدي البارعة تطورت دفعة واحدة (بخطوات متناسقة)، ولكن أسترالوپيثيكس سيديبا يبين أنها تظهر تدريجيا - في هذه الحالة تزاوج الأذرع الطويلة المتكيفة لتسلق الأشجار، مع الأيدي القصيرة الأصابع وذات الإبهام الطويل التي وفـرت قبضة مشابهة لقبضة الإنسان في دقتها. ويوحي مزيج أسترالوپيثيكس سيديبا النوعي (الخاص) لفريق <برگر> أنه انحدر من أسترالوپيثيكس أفريكانس أو من سلالة غير معروفة أدت مباشرة إلى ظهورالإنسان المنتصب.


أنثى أسترالوبيثيكس سيديبا بالغة
فتى ذكر أسترالوبيثيكس سيديبا
جسم
صغير
أسنان
صغيرة
منطقة جبهية
موسعة في الدماغ
دماغ
صغيرة
أنف
بارز
قناة ولادة
واسعة
أذرع
طويلة
مشابه
للأسترالوبيثيكس
يد
بارعة
مشابه
للهومو
متقدم عظم
كاحل
بدائي عظم
عقب
سيقان
طويلة
الإنسان المنتصب
أسترالوبيثيكس أفريكانس
أسترالوبيثيكس سيديبا

لا يوافق <W. كيمبل> [من جامعة ولاية أريزونا] الذي قاد الفريق الذي عثر على عظم الفك الذي يعود عمره إلى ٣,٢ مليون سنة في إثيوبيا على أي من هذا. ويرد على فكرة أن المرء يحتاج إلى هيكل عظمي كامل لتصنيف عينة ما بأنها «حجة لا معنى لها». والحل يكون، كما يقول، في إيجاد قطع من الهيكل العظمي تحتوي على سمات تشخيصية، وفك «حدار» يمتلك من الملامح ما يجعله يرتبط بوضوح بالجنس هومو، مثل شكل القطع المكافئ الذي تشكله صفوف أسنانه. يجد <كيمبل>، الذي رأى أحافير مالاپا ولكن لم يدرسها بالتفصيل، أن سماتها الشبيهة بسمات هومو مثيرة للاهتمام، على الرغم من أنه ليس متأكدا أين يضعها تصنيفيا. ومع ذلك فقد سخر من الاقتراح القائل إن تلك الأحافير تمثل السلف المباشر للإنسان المنتصب. ويعلن، في إشارة إلى الفك: «أنا لا أرى كيف يمكن لصنف taxon ما ذي سمات قليلة تبدو مشابهة لهومو في جنوب إفريقيا أن يكون السلف لهومو عند وجود شيء ما في شرق إفريقيا يبدو بوضوح أنه هومو ويعود في عمره إلى ٣٠٠ ٠٠٠ سنة.»

لم يكن <كيمبل> وحيدا في رفضه الادعاء أن أسترالوپيثيكس سيديبا هو الأصل (الجذر) الذي نشأ عنه الجنس هومو. فقد يعلق <M. ليكي> [من معهد توركانا بايسين Turkana Basin في كينيا] الذي ركزت أبحاثه الخاصة على أحافير من شرق إفريقيا بقوله: «هناك الكثير من الأمور غير المنسجمة، وخصوصا في التواريخ والجغرافيا». ويتابع: «إن الأمر الأكثر احتمالا هو أن تمثّل البشريات الجنوب إفريقية فرعا منفصلا نشأ في جنوب القارة.»

أما <R. بوب> [من جامعة جورج واشنطن] فيقول: إذا كانت بقايا أسترالوپيثيكس سيديبا أقدم عمرا – لنقل إن عمرها نحو ٢,٥ مليون سنة - فذلك قد يجعل منها سلفا معقولا لهومو. ولكن عندما يكون عمرها ١,٩٧٧ مليون سنة، فإن هذه البقايا تكون بدائية إلى أبعد الحدود في شكلها العام لتكون سلفا لأحافير من منطقة بحيرة توركانا في كينيا التي هي أحدث عمرا، ومع ذلك لديها الكثير من سمات هومو التي لا تقبل الجدل. أما <برگر> فيجيب معترضا بقوله: من شبه المؤكد أن أسترالوپيثيكس سيديبا كان موجودا كنوع قبل أفراد كهف مالاپا. أما <بوب> وآخرون فيؤكدون أن مثل هذه المعلومات غير معروفة حاليا. ويرى <بوب>: «أن علماء الأنثروبولوجيا القديمة يميلون إلى الاعتقاد أن الأحافير التي يجدونها تحتل موقعا مفصليا ضمن شجرة التطور [السلالات البشريات]، وأن الوضع على الأغلب ليس كذلك في كثير من الحالات.» ومن وجهة النظر الإحصائية، «إذا كانت لدينا مجتمعات من البشريات متوزعة في جميع أنحاء إفريقيا، وتتطور بطرائق معقدة، فما الذي سيجعل المجتمع الذي تجده أنت هو السلف؟»

[تفسير]

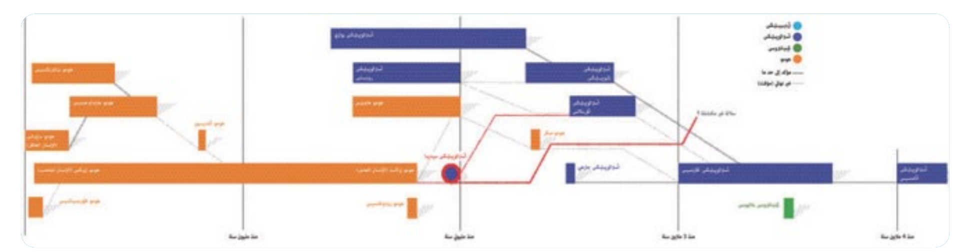
سلف لنا جميعا؟

بحسب الاعتقاد التقليدي عن أصل الجنس هومو، أدى وجود أسترالوپيثيكس عفارنسيس إلى ظهور الإنسان الماهر (هومو هابيليس)، والذي أدى بدوره إلى ظهور الإنسان المنتصب (هومو إيركتس)، وجميع أنواع هومو اللاحقة. ولكن السمات التشريحية الرئيسة (المفتاحية) لأسترالوپيثيكس سيديبا، بما فيها عظم العقب، الذي هو أكثر بدائية من عظم عقب أسترالوپيثيكس آفارنسيس، ويده التي تبدو أكثر تشابها بيد الإنسان الحديث من يد الإنسان الماهر Homo habilis، تثير الاحتمال المثير للجدل بأن أسترالوپيثيكس سيديبا قد يكون سلفا للإنسان المنتصب وبأن أسترالوپيثيكس آفارنسيس وهومو هابيليس قد يكونان فرعين جانبيين.

وجد <برگر> أذنا صاغية من قبل <وود> الذي يقول إن <برگر> «محق تماما» في أن أسترالوپيثيكس سيديبا يثبت أن عظاما معزولة لا تنبىء بالشكل الذي يبدو فيه ما تبقى من الحيوان. ويعلق <وود> أن أسترالوپيثيكس سيديبا يظهر أن امتزاج (تخالط) السمات

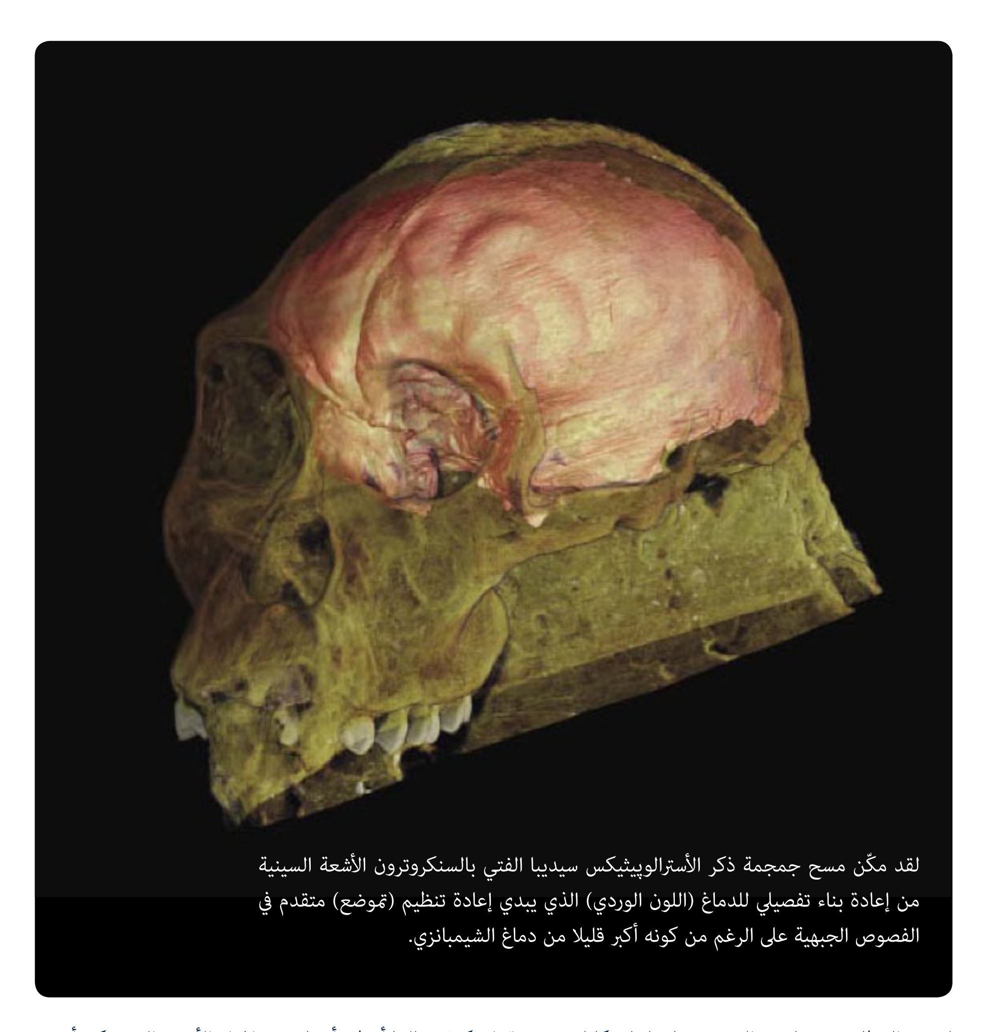
الواضح من خلال الاكتشافات الأحفورية السابقة لا يستنفد كافة الاحتمالات المطروحة. ولكنه لا يقر بالاقتراح أن أسترالوپيثيكس سيديبا هو سلف الجنس هومو. وعلى حد تعبيره: «لا يوجد هناك العديد من الصفات التي تربطه بسلالة الجنس هومو.» وأسترالوپيثيكس سيديبا يمكن أن يكون قد طور تلك السمات بشكل مستقل عن سلالة الهومو. ويقول <وود>: «إنني أعتقد أن هناك فارقا تطوريا كبيرا بين أسترالوپيثيكس سيديبا والإنسان المنتصب».

إن ما يعيق حل قضية تموضع أسترالوپيثيكس سيديبا على شجرة نسب عائلتنا هو عدم وجود تعريف واضح للجنس هومو. ولكن الوصول إلى هكذا تعريف، هو أمر أصعب مما يبدو. فمع ندرة العينات من الفترة الانتقالية، وبسبب كون معظمها قِطعا (أجزاء) ناقصة، فقد شكّل تحديد تلك الملامح التي ميزت للمرة الأولى هومو من أسلافه من الأسترالوپيثيسينات - تلك السمات التي جعلتنا حقا بشرا - تحديا صعبا. إذ تكشف الهياكل من كهف مالاپا كم هي الحالة مربكة: فقد كانت هياكل مالاپا أكمل من أي عينات لهومو مبكر لدرجة أنه كان من الصعب جدا أن تقارن بأي شيء آخر. ويقول <برگر>: «قد يجبرنا أسترالوپيثيكس سيديبا على التوصل إلى تعريف ما.»



كل شيء في التفاصيل

أيا كان موقع أحافير كهف مالاپا على شجرة نسب فصيلة الإنسان، فهي مؤهلة لتزويد الباحثين بالوصف الأكثر تفصيلا حتى الآن لأحد أنواع البشريات المبكرة، ويعود ذلك جزئيا إلى كونها تضم (تجمع) أفرادا متعددة. فإضافة إلى الذكر الفتي والأنثى البالغة، العينتين الأكثر اكتمالا، جمع فريق <برگر> عظاما تمثل أربعة أفراد آخرين، بينهم طفل رضيع. إن المجتمعات نادرة جدا في السجل الأحفوري البشري، ويمتاز أفراد كهف مالاپا بميزة إضافية تتمثل في بقائها محفوظة بشكل قل نظيره. إن عظام البشريات، التي لم يسبق لها فعليا النجاة من تـأثير عوامل الزمن المديد المخربة، ظهرت هنا: عظم لوح الكتف الرقيق، رقاقة رهيفة هي الضلع الأول في القفص الصدري، وعظام إصبع بحجم حبة البازلاء، وفقرات الظهر مع نتوءاتها الشوكية السليمة. إضافة إلى عدد من العظام الكاملة التي لم يتم تعرفها في السابق إلا من شظاياها. وقبل اكتشاف كهف مالاپا، لم يتوفر لدى علماء الأنثروبولوجيا القديمة ذراع مفردة كاملة تعود للبشريات الأوائل، وهذا يعني أن أطوال أطرافها التي استخدمت في تصور سلوكياتها الأساسية كالتنقل هي تخمينات. حتى في حالة لوسي - التي كانت أحفورة البشريات الأكثر اكتمالا عندما عثر عليها في عام ١٩٧٤ - كانت تنقصها أجزاء كبيرة من عظام ذراعها وساقها. أما في أنثى كهف مالاپا البالغة، فعلى العكس من ذلك، كان الطرف العلوي محفوظا بالفعل حفظا كاملا - من لوح الكتف إلى اليد. والأجزاء المفقودة منها هي بعض السلاميات الأخيرة من أصابعها وبعض عظام الرسغ فقط. ويتوقع <برگر> أن يعثر على هذه القطع - إضافة إلى باقي العظام التابعة للهيكلين العظميين عندما يقوم بالتنقيب في الموقع (حتى الآن جمع الفريق العظام المرئية فقط على سطح الأرض بدلا من التنقيب المنهجي عن المواد المدفونة). ومن هذه الأدلة سيكون الباحثون قادرين على إعادة بناء كثير من الأمور من بينها: الآلية التي نضج فيها أسترالوپيثيكس سيديبا، وكيف كان يتنقل على الأرض وكيف كان أفراد مجتمعاته يختلف بعضهم عن بعض.



لقد مكّن مسح جمجمة ذكر الأسترالوپيثيكس سيديبا الفتي بالسنكروترون الأشعة السينية من إعادة بناء تفصيلي للدماغ (اللون الوردي) الذي يبدي إعادة تنظيم (تموضع) متقدم في الفصوص الجبهية على الرغم من كونه أكبر قليلا من دماغ الشيمبانزي.

ليست العظام وحدها هي التي تعد بإخبارنا حكايات جديدة. إن كهف مالاپا أعطى أيضا بعض المواد الأخرى التي يمكن أن تغير فعليا فهم الباحثين لأسترالوپيثيكس سيديبا. لقد اعتقد علماء الأحافير لمدة طويلة أنه خلال عملية التأحفـر (التحول إلى أحافير)، تزول جميع المكونات العضوية للكائن الحي، كالجلد والشعر والأعضاء وما إلى ذلك نتيجة تحلـلها، تاركة وراءها العظام المتمعدنة فقط. ولكن عندما رأى <برگر> صورة الأشعة المقطعية CTscan لجمجمة الذكر اليافع، لاحظ موضعا في أعلى الجمجمة حيث ظهر هناك فراغ مملوء بالهواء بين سطح الأحفورة، وانحناءات حدود العظم الفعلي. وعندما قام بفحص البقعة عن كثب، لاحظ وجود مظهر مميز على السطح، يشبه المكونات الهيكلية للجلد. وهو يقوم الآن بإجراء اختبارات مكثفة لتحديد ما إذا كانت البقعة الغريبة المظهر على أعلى جمجمة الذكر والبقعة الأخرى على ذقن الأنثى - إضافة إلى بقع مماثلة على عظام الظبي من

الموقع، هي في الواقع من الجلد.
يمكن للجلد المحفوظ، في حال التأكد أنه كذلك، أن يكشف عن لون أسترالوپيثيكس سيديبا وعن كثافة شعره ونمطه. ومثل هذه الأدلة يمكن أن تبيـن أيضا توزع الغدد العرقية - وهذه معلومات سوف توفر تبصرات حول مدى القدرة التي امتلكتها هذه الأنواع على تنظيم درجة حرارة جسمها، والتي بدورها كانت تؤثـر في مدى نشاطها الذي كانت عليه. وقد تقدم الغدد العرقية، إضافة إلى ذلك، أدلة على تطور الدماغ: فقد كان توفر وسيلة فعالة لإبقاء الجسم باردا شرطا لازما لظهور دماغ كبير الحجم - العلامة المميزة لجنس هومو - بسبب كون الأدمغة حساسة للحرارة. وفي حال كانت المادة العضوية موجودة، قد يتمكن <برگر> حتى من الحصول على الدنا من البقايا. حاليا يبلغ عمر أقدم دنا بشريات جرت سلسلته ١٠٠ ٠٠٠ سنة، وهو دنا مأخوذ من إنسان نياندرتال. ولكن وبسبب كون ظروف الحفظ في كهف مالاپا استثنائية على ما يبدو، فإن لدى <برگر> بعض الأمل في الحصول على معلومات جينية من عينات أسترالوپيثيكس سيديبا أقدم عمرا. وفي هذه الحالة، قد يكون العلماء قادرين على تحديد ما إذا كانت الأنثى البالغة والذكر الفتي حقا أمّا وابنها، كما هو مقترح، وتحديد ماهية الصلات، إن وجدت أصلا، بين البشريات الأخرى في الموقع. وإضافة إلى ذلك، سيدفع مثل هذا الاكتشاف الباحثين في مواقع بشريات قديمة أخرى إلى اختبار الدنا الذي، في حال نجاحه، يمكـن أن يحسم الجدل حول صلات القربى التي كانت تربط أنواع البشريات المختلفة.

سيكون تسجيل حفظ البقايا العضوية الأول من نوعه في علم أحافير البشريات، ويعرف فريق كهف مالاپا أنه سيحتاج إلى أدلة استثنائية لإقناع مجتمع الباحثين بمثل هذا الادعاء. ولكن نتائج الاختبار تدعم، حتى الآن، هذه الفرضية، ويعتقد <برگر> أن الاحتمالات جيدة للغاية وأن التحاليل المقبلة سوف تؤكد هذا الأمر. فعلى الرغم من كل شيء هناك ادعاءات مماثلة تفيد بالعثور على مادة عضوية في عظام الدينوصورات، وهذه يفوق عمرها بعشرات الملايين من السنين عمر أحافير كهف مالاپا. وقد يكون حفظ البقايا العضوية في تجمعات البشريات، شائعا إلى حد كبير، كما يقترح <برگر> – وأن أحدا لم يفكر قط في البحث عنها.

وشيء آخر لم يفكر أحد في البحث عنه لدى أفراد البشريات بهذا العمر؟ ألا وهو قلح الأسنان. إن سطوح أضراس الطواحن لدى الذكر الفتي تحمل بقعا بنية داكنة. وعندما يقوم محضرو الأحافير بتجهيز بقايا البشريات للدراسة يقومون بتنظيف الأسنان. ولكن خطر على بال <برگر> أن تلك البقع قد تكون في الواقع القلح نفسه الذي نزيله نحن البشر المعاصرون بفرشاة الأسنان، ونذهب لأجله إلى طبيب الأسنان. وقلح الأسنان القديم سيوفـر تبصرات قيمة حول تطور النظام الغذائي لدى البشريات.

لقد تحرت دراسات سابقة لما اهتمت بما يأكله أفراد البشر الأوائل عن نسب نظائر الكربون في الأسنان، والتي يمكن أن تشير إلى ما إذا كان حيوان ما يتغذى بما يسمى نباتات C٣ مثل الأشجار والشجيرات، أو بما يسمى نباتات C٤، مثل بعض الأعشاب والقصب، أو فيما إذا كانت الحيوانات، في حالة الأنواع آكلات اللحوم، تفترس حيوانات أكلت تلك الأطعمة النباتية، أو تغذت بمزيج منها خلال فترة حياتها. إن هذه الأدلة هي أدلة غير مباشرة وغير محددة. وعلى العكس من ذلك، إن قلح الأسنان هو بقايا الطعام نفسه. يقوم الفريق حاليا بدراسة بلورات السيليكا الصغيرة التي تسمى فايتوليث phytoliths المتضمنة في القلح. وبلورات الفايتوليث هذه تنشأ عن النباتات، وتصنع بعض النباتات أشكالا نوعية من البلورات خاصة بنوع نباتي محدد. وهكذا يمكن أن تكشف دراسة بلورات الفايتوليث بالضبط أي نوع من أنواع النباتات التي أكلها حيوان ما قبل أن ينفق مباشرة. ومن خلال تحليل نسب النظائر المشعة وبلورات الفايتوليث وعلامات التآكل على أسنان أسترالوپيثيكس سيديبا والتي يمكن أن تشير إلى ما إذا كان حيوان ما يمضغ طعاما أكثر قساوة أو ليونة في الأسابيع التي سبقت حتفه، سيكون الفريق قادرا على جمع مجموعة كبيرة من البيانات حول الشروط التي ساعدته على البقاء على قيد الحياة. ولأن الباحثين يحوزون عظاما تعود إلى أفراد من أسترالوپيثيكس سيديبا تمثل طيفا من مراحل نموها، فهم قادرون حتى على استنتاج ما كان يأكله الأطفال الرضع مقابل ما كان يأكله الكبار، على سبيل المثال.

وفي مقالة مرجعية نشرت في عدد الشهر ٢٠١١/١٠ من مجلة ساينس، لاحـــظ <S. P. أنكر> [من جــامعــة أركنساس] و<M. سبونهايمر> [من جامعة كولورادو في بولدر] أن التحاليل التي أجريت مؤخرا ألمحت إلى تنوع وتعقيد غير متوقعين في نظم أسلافنا الغذائية. ففي حين كان أردبيـثيكس راميدس Ardipithecusramidus، أحد البشريات الأوائل المفترضة، يتناول في المقام الأول أغذية C٣، كما كانت تفعل أفراد شيمبانزي الساڤانا، يبدو أن البشريات الإفريقية المبكرة الأخرى كانت تأكل مزيجا من أطعمة C٣ و C٤. وثمة نوع واحد، وهو پارانثروپس روبستس Paranthropus robustus، كان يتبع أيضا نظاما غذائيا يعتمد في معظمه على أطعمةC٤، كما أفاد <Th. سيرلينك> وزملاؤه [من جامعة يوتا] في دراسة نشرت في الشهر ٢٠١١/٦ في وقائع الأكاديمية الوطنية للعلوم بالولايات المتحدة الأمريكية (PNAS USA). ومن دون أي شك سيرغب العلماء في معرفة مكان أسترالوپيثيكس سيديبا على طيف النظام الغذائي dietary spectrum وكيف تتوافق تلك الصورة مع الأدلة التي تتكشف عن تلك التي تـبـينـها البيئة القديمة في كهف مالاپا، والتي كانت، على ما يبدو، تتضمن وفرة من الحشائش والأشجار. وربما سيسلط الدليل المتحصّل من النظام الغذائي الضوء على الكيفية التي كان أسترالوپيثيكس سيديبا يستخدم فيها تلك اليد البارعة، مع تكيفاتها الواضحة لاستخدام الأدوات - وبالطريقة نفسها، معرفة فيما إذا كان يستخدم ذراعيه الطويلتين الشبيهتين بذراعي القردة ليتغذى بين الأشجار.

الأيام الأخيرة

يبدو أن أيام بشريات كهف مالاپا الأخيرة كانت أياما مروعة. فقد تكون ظروف جفاف محتملة جعلت الحصول على المياه صعبا. ويظن <برگر> أن البشريات، مدفوعة بيأسها من الحصول على مياه الشرب، قد حاولت النزول إلى كهف تحت الأرض كان عمقه عندئذ يتراوح بين ٣٠ و ٥٠ مترا ضمن كهف مالاپا للوصول إلى بركة ضحلة من المياه العذبة، وأثناء محاولتها انتهى بها الأمر إلى سقوطها ولقيت حتفها. ربما سقط الصبي أولا، وحاولت الأنثى البالغة - ربما والدته - إنقاذه لتسقط هي الأخرى في آخر الأمر. ولاقت مجموعة من الوحوش المتنوعة الأخرى، من الظباء إلى الحمر الوحشية، المصير نفسه، لتغدو مدفونة إلى جانب البشريات للأبد.

والمثير للفضول هو أن الأدلة الجيولوجية من الموقع تشير إلى أن التجمع الأحفوري في كهف مالاپا تشكّل تماما في الوقت نفسه الذي كانت فيه الكرة الأرضية تخضع لانقلاب في مغنطيسيتها الجيولوجية - وهو حدث غامض تنقلب فيه قطبية الكوكب ويصبح شمالها المغنطيسي جنوبا مغنطيسيا. ويثير هذا التوقيت التساؤل حول ما إذا كان هذا الانقلاب المغنطيسي قد أدى بطريقة ما أو بأخرى دورا في موت هذه المخلوقات.

لا يعرف العلماء سوى القليل جدا حول أسباب الانقلابات المغنطيسية، وما إذا كانت تعجل في التغير البيئي. وقد اقترح بعض علماء الجيولوجيا أنه يمكن تصور أن تـؤدي هذه الأحداث إلى فوضى بيئية - نتيجة اضطراب في المجال المغنطيسي الذي يحمي الكائنات الحية من الإشعاع القاتل، على سبيل المثال، أو نتيجة إرباك نظم الملاحة الداخلية للطيور المهاجرة وغيرها من الحيوانات التي تستخدم المجال المغنطيسي للكرة الأرضية لتحديد اتجاهاتها. وباعتبار أن كهف مالاپا هو أحد الأماكن الفريدة في العالم الذي احتفظ بسجل أرضي عن الانقلاب المغنطيسي، إضافة إلى مجموعة من الأحافير التي عاشت في الزمن نفسه، فإنه يمكن أن يقدم تبصرات نادرة فيما يحدث عندما يـغير كوكب الأرض أماكن قطبيه.

وثمة أدلة أخرى قد تلقي المزيد من الضوء على سبب موتها. يمكن لعظام متأحفرة لأنثى ظبي حامل وجنينها من كهف مالاپا أن تساعد العلماء على تحديد الوقت من السنة الذي ماتت فيه البشريات بدقة تصل إلى حدود أسبوعين من الزمن: فإناث الظباء

تلد ضمن فاصل زمني ضيق جدا في فصل الربيع، وتحليل الجنين يجب أن يسمح للباحثين باستنتاج مدى تقدم الحمل قبل نفوق أنثى الظبي. وفي غضون ذلك يمكن أن تكشف آثار الخنافس التي تتغذى باليرقات والأنسجة المتفسخة التي هاجمت البشريات بعد موتها عن طول المدة التي بقيت أجسامها مكشوفة قبل أن تدفنها رواسب الكهف المتدفقة.

ويمكن القول إن العمل على أسترالوپيثيكس سيديبا قد بدأ للتو. يقول <برگر> لزوار كهف مالاپا صباح يوم ربيعي جنوبي في أواخر الشهر ١١: «إنكم تسيرون فوق جميع أحافير البشريات ». إنهم يقفون على الأرض الصخرية بين الشجرة، حيث وجد <ماثيو> عظم الترقوة، وحفرة المنجم حيث وجد <برگر> صاحبها. ويلفت نظر المشاهدين، وهو ينزل إلى أسفل الحفرة، إلى أجزاء من الأحافير البارزة من الصخور تنتظر جمعها. مد الضيوف المذهولون رقابهم ليلقوا نظرة على عظم ذراع طفل وعلى الفك السفلي لهر سيفي الأسنان(٤) saber-toothedcat، والمنطقة التي يبدو أنها تحتوي على ما تبقى من هيكل الذكر الفتي. وبمجرد قيامه بجمع البقايا التي أزاح عمال المناجم النقاب عنها وتلك التي أظهرتها العواصف الممطرة العارضة جمع فريق الاستكشاف إحدى أكبر مجموعات أحافير البشريات المعروفة على الإطلاق. وعندما يبدأ الباحثون بالتنقيب في موقع مساحته نحو ٥٠٠ متر مربع، يعلم <برگر> أنهم سوف يجدون المزيد من العظام - الكثير منها. ويجري حاليا إعداد خطة مكثّفة لإقامة بنية لحماية الموقع من أذى عناصر الطقس، وتقوم بدور مختبر ميداني متقدم من أجل البدء بأعمال الحفر المنهجي في وقت لاحق من هذا العام، والذي سيسبر أعمق مما أظهره عمال المناجم ليصل إلى أجزاء الرواسب التي لم تحفر بعد. وفي هذه الأثناء، وفي مختبر مالاپا لكتل الأحافير في [جامعة ويتواترسراند] تملأ كتل الصخور التي تم الحصول عليها من المنجم الرفوف المصفوفة من الأرض إلى السقف. وسوف يقوم الباحثون بالتمحيص في هذه الصخور باستخدام المسح المقطعي للبحث عن عظام البشريات بما في ذلك جمجمة الأنثى البالغة المفقودة.

إن ثروات كهف مالاپا ضخمة لدرجة أنه قد يمكن ل<برگر> أن يمضي ما تبقى من حياته المهنية في العمل عليها. وعلى الرغم من ذلك فقد باشر التفكير في الوجهة التالية التي سيطرقها. ويؤكد بقوله إن أسترالوپيثيكس سيديبا: «علمني بأننا بحاجة بالفعل إلى سجل أفضل - وهو هناك في الخارج». وقد تعرّف مشروع المسح الذي قاد <برگر> إلى كهف مالاپا على أكثر من ثلاث دستات (دزينات) من المواقع الأحفورية الجديدة في منطقة المهد فقط والتي من المرجح أنها تؤوي بقايا بشريات. فهو يعدّ الباحثين لينقب كل واحد بدوره أفضلَ تلك البقع الواعدة. أما <برگر> نفسه فقد وضع نصب عينيه تطلعات أبعد. ويرى أن لدى الكونغو وأنغولا، من بين أماكن أخرى، تشكيلات كهفية مماثلة لتلك الموجودة في المهد والتي لم يتم البحث فيها عن أحافير البشريات. وربما هناك، في الأرض المجهولة من الأنثروبولوجيا القديمة، سيجد رسولا آخر غير متوقع من فجر البشرية سيعيد كتابة قصة أصل البشر مرة أخرى.

<K. وونگ> رئيسة تحرير في مجلة ساينتفيك أمريكان

مراجع للاستزادة

.Australopithecus sediba: A New Species of Homo-|ike Australopith from South Africa
.٢٠١٠ ,٩ April ;٢٠٤-١٩٥ pages ,٣٢٨ .Lee R. Berger et al. in Science, Vol
٠f A. sediba's anatomy and ٠f Science contains five research papers on details issue ,٢٠١١ ,٩ The September
.age

FIRST OF OUR KIND(*)
THE ROAD NOT TAKEN(**)
A PATCHWORK PREDECESSOR(***)
Mix and Match(****)
?Ancestor of Us All(*****)
ALL IN THE DETAILS(******)
END OF DAYS(*******)

---

(١) Institute for Human Evolution
(٢) playing Mr. Potato Head
(٣) أو التطور الفسيفسائي: هو المفهوم القائل إن التغير التطوري يجري في بعض أجزاء الجسم من دون تغيرات متزامنة في أجزاء أخرى من الجسم. (التحرير)
(٤) حيوان ثديي ضخم منقرض يتبع عائلة القطط ويمتلك صفا من الأنياب العلوية المنحنية على شكل سيف يتبع له الجنس Smilodon الذي يعود لعصر البليستوسين الأمريكي، والجنس Machairodus الذي يعود إلى عصر بليوسين العالم القديم. (التحرير)

سؤال قد يطرأ على بال الكثيرين، من متابعي التقانة النانوية، أو غيرهم، لماذا التعامل مع المواد و المركبات بأبعاد صغيرة؟ لماذا بناء مواد جديدة لا ترى بالعين المجردة؟ ألا نستطيع التعامل مع المواد كما هي بدون أي تعديل أو بناء جديد؟

في الحقيقة، فإن الإجابة على هذا السؤال، تبدأ من أبسط تطبيق في حياتنا اليومية، وهو الكومبيوتر!

فالكومبيوتر، آلة أصبح لا غنى عنها في كل منزل، و شركة، و مشفى، و معمل، و جامعة، و في كل مناحي الحياة، بسبب الوظائف المذهلة التي يؤديها، فضلاً عن قدرته الكبيرة على تخزين البيانات.

لو عدنا لأول كمبيوتر تم اختراعه في الأربعينيات، فإننا سنلاحظ أن حجمه كان يقارب حجم غرفة بأكملها، و بعد اختراع الترانزستور، أمكن تصغير حجمه بشكل كبير مع زيادة في كفاءة أدائه، و مع تطور تقنيات تصنيع الدارات، فقد أصبحت المعالجات أصغر و أصغر، و قدرتها الاستيعابية أفضل، و سرعتها أكبر، مما وفر علينا الحجم الكبير، و أعطانا آلة بمواصفات ممتازة.

فتصغير معالج الكومبيوتر، و بنائه بأبعاد صغيرة جداً، يعطينا القدرة على إدخال كميات كبيرة من وحدات البناء الرئيسية، و هي الترانزستورات، فضلاً عن إمكانية التحكم بدقة عالية جداً بكيفية مرور المعلومات بين أجزاء المعالج، و مع تصغير الترانزستورات أكثر و أكثر المتوضعة في شريحة المعالج، سنتمكن من تخزين بيانات أكثر، و من معالجة بيانات أكثر، بالنتيجة، سنحصل على كومبيوتر أفضل.

من ناحية أخرى، فلو أخذنا الهاتف الخلوي على سبيل المثال، و تذكرنا الإصدارات الأولى منه، كيف كان حجمها، و أدائها، و قارناها مع أي هاتف خلوي ينتج اليوم، من حيث الشكل، و الأداء، لوجدنا فارقاً هائلاً، و الفضل الكبير بهذا المجال، يعود لتقنيات تصغير الدارات و المعالجات و بنائها بأبعاد صغيرة جداً، و نستطيع أن نضيف أمثلة لا حصر لها، من الذواكر و الشاشات و أداء السيارات.

يبقى السؤال: لماذا الأبعاد الصغيرة؟ و لماذا التعامل عند هذه الأبعاد؟ الفكرة هنا، أن خصائص أي مادة، سواء كانت تحملها للضغط أو الشد، أو نقلها للتيار الكهربائي، أو امتصاصها للضوء، تتحدد بشكل أساسي من بينتها الذرية، و الكيميائية، و كافة خواص المواد، الفيزيائية و الكيميائية، ناتجة بشكل أساسي عن شكل جزيئاتها، و كيفية توضعها، و بالتالي، عبر تغيير شكل الجزيئات و الذرات، أو كيفية توضعها، أو الروابط التي تجمع فيما بينها، فإننا سنحصل على مادة جديدة، بخواص جديدة، حسب الطلب الذي نريده.

كمثال، فإن الروابط الكيميائية المشتركة هي التي تعطي المادة الصلابة، و هذا ما يميز مثلاً مواد مثل كرات بكي، و بالتالي إذا أردنا بناء مادة صلبة، نقوم بتغيير وروابطها المشتركة، و إذا أردنا مادة ذات ناقلية كهربائية عالية، نغير من شكل توضع ذراتها لتصبح قادرة على الارتباط مع أكبر عدد ممكن من الالكترونات، مثل الغرافين.

في العلوم الحيوية و الطبية، فإن علوم النانو، تقدم للباحثين طرق و آليات جديدة لمشاكل شكلت معضلات و لسنوات طويلة، مثل كيف سنعالج السرطان بدون أن نؤذي الخلايا المجاورة؟ فكان الحل باستخدام جزيئات نانوية، صغيرة الحجم، تستهدف قتل الخلايا السرطانية دون غيرها، عبر توجيهها إليها، و في بعض التطبيقات الطبية، أمكن الحصول على مراقبة دقيقة جداً، لنسيج، أو عضو،

أو حتى مفصل صناعي، باستخدام جزيئات نانوية صغيرة، تصدر الضوء، و بسبب صغر حجمها، و إمكانية بنائها بطريقة تجعلها تتوضع فوق العضو المطلوب بدقة، فقد أمكن تتبع التغيرات التي تحصل به، عن طريق مراقبة الضوء الصادر من هذه الجسيمات.

و نستطيع إضافة المجال البيئي و الحيوي، عبر التوجه اليوم، لتصنيع كافة التطبيقات اليومية، من صحون و طاولات و شاشات و هواتف و سيارات و حتى أبنية، اعتماداً على مواد لا تؤذي البيئة، و أكثر من ذلك، بكيفية تتيح لهذه الأبنية مثلاً أن تشحن نفسها بالطاقة الكهربائية! مما يوفر علينا حرق الوقود، و تلويث البيئة، و استخدام مصدر نظيف و مجاني للطاقة...و كيف سنحصل على هذه المواد؟ عبر تغيير خصائص مواد البناء الأساسية، بالأبعاد الذرية، لتصبح قابلة للتأثر بالطاقة الضوئية، و تحويلها لطاقة كهربائية، مع الاحتفاظ بخواص الصلابة التي تميزها كمواد بناء...هذه ليست أحلام خيالية، هذه أبحاث يتم العمل عليها يومياً، و ينفق عليها المليارات...

في الحقيقة فإن الموضوع يطول و يطول...و الأمثلة تكاد لا تنتهي، و يبقى القول، أن التعامل مع المواد، بالأبعاد الصغيرة، سيعطينا إمكانيات أفضل، و اقوى، من أجل بناء مركبات جديدة، مواد جديدة، بخواص أفضل، و بخواص مرغوبة، كون الخواص الفيزيائية و الكيميائية للمادة، تتحدد عند أبعادها الذرية و الجزيئية.
من مشاركات صفحة التقانة النانوية في سورية Nanotechnology in Syria
من صفحة https://www.facebook.com/ThePhysicistsArabic
الفيزيائون العرب

مقال لعالم الفيزياء لاورنس كراوس
للمزيد من الأخبار العلمية و المقالات عن الفيزياء انضم لصفحة الفيزيائيون The Physicists

يمكن ان يفترض المرء ان كوننا نعيش بمجرّة نائية و هادئة في كون يعطي الانطباع بالمحافظة على الرتابة و الرصانة ل ١٤ بليون سنة بعد الانفجار الكبير ليس مصدرا للقلق.

لكن بفضل دعامتَيْ الفيزياء الحديثة (النظرية النسبية، و ميكانيك الكم) اصبحنا الان اكثر دراية بحقيقة ان المعلومات التي نحصل عليها عن الكون محدودة بقدراتنا الإدراكية و نتيجة الظروف الخاصة التي تحكم كوننا (اي قوانين الكون)، بمعنى اننا نستطيع (و لو نظريا) توصيف ما يكون، لكن لا يمكننا البت بان ما يكون محدود بما نعرفه او نستطيع ان نعرفه تجريبيا.

فلربما يوجد حدود قصوى لقدراتنا على استكشاف الطبيعة - الشيئ الذي بدا واضحا مع نجاح النظرية الفيزيائية و طريقة التجريب في فهم الكون في ال ٥٠ سنة الماضية - لان هذه القدرات محدودة و متاثرة كثيرا بالاحتمال و بالظروف المحيطة، الشيئ الذي قد يغير الطريقة التي تتطور بها العلوم الأساسية في المستقبل.

بادئ ذي بدء علينا ان نتذكر ان النظريات الفيزيائية الحديثة تقترح ان كوننا على الاغلب ليس مميزا للغاية عكس الانطباع العام المأخوذ عنه، و لربما تقبع اكوان عديدة في مجال خارج عن نطاق ما يمكننا استكشافه، يمكن ان يكون هنالك عدد لا نهائي من الأكوان و كلّ له قوانينه المختلفة و ربما خصائص مختلفة و سلوك مختلف لكل من الزمن و المكان في كلّ منها، هذه ليست مشكلة اذ اننا معنيون الان بفهم هذا الكون و طبيعته.

لكن هذا الكلام مهم اذ يفتح المجال للبصيرة بإدراك ان قوانين الفيزياء هي قوانين يمكن ان تكون احتمالية، بمعنى انه لا يوجد سبب رئيسي و حتمي بكوننا على هذه الشاكلة بهذه الخصائص في هذا الكون، و لكن و كأي عالم أوبئة يدرس حالة اصابة شخص واحد بمرض ما، فان قدرة هذا العالم على توصيف اسباب هذا المرض تكون متواضعة اذ يستحيل معرفة المعافى من المريض بدون وجود حالة معيارية تكون الفرق بين الصحة و المرض، اذ ان اي توصيف مُرْضٍ للمرض يتطلب دراسة حالات عديدة بظروف مختلفة و مقارنة مع الاصحاء و مع مصابين ايضا لتكوين فكرة جيدة عن المرض و هذا بعيد عن المنال ان تناول عالمنا شخصا واحدا فقط، و كذلك نحن بدراستنا كونا واحدا فقط فليس بمقدورنا ان نقول ان القوانين الاساسية التي تحكم كوننا هي معيار ثابت و اساسي يحكم كل الاكوان ام هي حالة خاصة بهذا الكون، مع ذلك يمكن بيوم من الايام ان نأتي بنظرية تشرح و تفسر كوننا هذا بكل ابعاده، لكن من غير المقدور علينا (على الاقل حاليا) ان نعمم هذه النظرية لأي ملكوت يكون خارج الكون التي تفسره النظرية.

و الأمر أسوأ من ذلك، إذا علمنا ان سرعة توسع الكون تتزايد مع الوقت، و هذا يؤدي الى تضييق مجال الرؤية على عدستنا الكونية بسبب تباعد المجرات و الاجرام عن بعضها فيصبح تلقي الضوء الصادر منها اصعب فاصعب و يمكن ان نحرم من رؤية بعض الحوادث و لا يصلنا منها ضوء اطلاقا. و لكن رغم أنني ناقشت الموضوع أمام الكونغرس، و فشلت في إقناعهم بضرورة الإقبال على علم الفيزياء الفضائية الان قبل غد و نحن ما زلنا نتمتع بفرصة المشاهدة التي سوف تؤول الى زوال مع الوقت، فهذا لا يعني بأن من سيأتون بعدنا من علماء لن يكتشفوا روائع الطبيعة بالعمل و الجهد.

حقيقة ان سبب تسارع توسع الكون يمكن ان يكون للأبد عصيا على الفهم. اذا قلنا ان الفضاء الخالي يمتلك او يمثل كمية معينة من الطاقة، فيمكن ان تكون هذه الطاقة المسبب لتسارع التوسع، لكن ما دمنا لا نملك مختبر لاستكشاف هذه الطاقة فالطريقة الوحيدة لفعل ذلك هي مراقبة تسارع التوسع الكوني مع الزمن. طاقة الفضاء الخالي لها اثر على التسارع لكن لا يمكننا الجزم بان التسارع محكوم بفعل هذا الاثر فقط ام يوجد اثار اخرى تتمخض من عوامل اخرى. مرة اخرى نؤكد اننا لا نملك القدرة على المقارنة مع اكوان اخرى و ملاحظة الفرق.

على كل بما اننا في حالة قلق فحتى الاكتشافات المذهلة كاكتشاف Higgs Boson يمكن ان يثبط العزيمة، فنحن لم نر سوى بوزون هيجز لحد الآن، بينما النموذج العياري يشمل عددا كبيرا من الجسيمات العجيبة، و هنالك أفكار فيزيائية عديدة تم اقتراحها كتفسير، و العديد من هذه الأفكار تتوقع ظهور فيزياء جديدة من رحم مسارع الهادرونات الكبير LHC. لكن ماذا لو لم نجد شيئا آخر غير الهيجز؟ في هذه الحالة لن نجد مخرجا لتفسير الألغاز التي يطرحها النموذج العياري. و إذا لم تعطف علينا الطبيعة، فقد تكون الحلول على بعد و مستوى طاقي لا نستطيع الوصول إليه، إما بسبب قيود عملية، أو بسبب ضيق أفق بعض السياسيين.

فلربما ينتهي بنا المطاف بالجدل حول ما هو ممكن ان يكون بدلا من اكتشاف ما يكون من ظواهر فيزيائية بالتجربة. على كل يبقى الكون مكانا للغرابة و الجمال و اثارة التساؤلات و لازال امامنا الكثير من التساؤلات لنحلها، و في كل مرة فتحنا فيها نافذة كونية، نجد أنفسنا مندهشين، و هنالك نوافذ كثيرة تنتظر أن تفتح. و اعتدنا دوما ان تكون عملية فتح النوافذ الفكرية و حل التساؤلات مصدر دهشة و غبطة و من المؤكد ان القلق يساعد العقل بان يتمتع بالحالة الذهنية لحل تلك المشاكل.

و في الختام، ينبغي أن أشدد على أنني لا أعتقد أن هذه الحدود الممكنة ستؤدي إلى نهاية العلم أو نهاية الفيزياء، فهنالك ما يكفي من الظواهر المحيرة في الكون لتشغلنا لوقت طويل.

ترجمة: Darth Vader

مراجعة: Antoni Ledna

المصدر:
http://www.edge.org/response-detail/23816

توحي «درجات معدل الذكاء»(١) المستمرة بالتزايد أن أجيال المستقبل سوف تجعلنا نبدو أغبياء أمامها.

<T. فولجر>

قبل ثمانية وعشرين عاما، اكتشف <R .J. فلينّ>، [الباحث لدى جامعة أوتجو بنيوزيلاندا] ظاهرة ما زال علماء الاجتماع يجهدون لتفسيرها: ترتفع درجات معدل الذكاء(١) (أو درجات IQ) بثبات منذ بداية القرن العشرين. وواصل <فلينّ> فحص بيانات اختبارات الذكاء الواردة من أكثر من أربعة وعشرين بلدا، ووجد أن الدرجات تتزايد بمعدل ٠٫٣ نقطة في العام، أي بثلاث نقاط كاملة في العقد. وأكدت الدراسات اللاحقة، التي استمرت نحو ثلاثين عاما، الحقيقة الإحصائية لهذا التنامي على مستوى العالم، والذي يعرف الآن بمفعول فلينّ(٢). ومازالت الدرجات تتصاعد.

يقول <فلينّ>، الذي نشر أحدث كتاب له في الشهر ٩/٢٠١٢ عن هذا الموضوع بعنوان هل نزداد ذكاء؟: «ما يثير دهشتي هو أن الزيادات ما زالت مستمرة في القرن الحادي والعشرين. وتبيّن أحدث البيانات أن الزيادات في أمريكا تحوم حول المعدل القديم نفسه المتمثل بثلاثة أعشار النقطة في العام.»

وأحد أغرب جوانب مفعول <فلينّ> هي رتابته الشديدة، فهو لا يتباطأ ولا يتوقف كي يبدأ من جديد. إنه يزداد باستمرار فقط، «وكأن يدا خفية تقوده» وفقا لقول <فلينّ>. لقد عاين <J. رودجرز> [عالم النفس لدى جامعة أوكلاهوما] نتائج اختبار نحو ١٣٠٠٠ طالب أمريكي في محاولة لكشف مفعول <فلينّ> ضمن مدد زمنية أقصر. ويقول <رودجرز>: «تساءلنا عمّا إن كانت درجات الطلبة ستتحسن خلال مدة تتراوح بين خمسة أو عشرة أعوام، ولكننا وجدنا أنها قد تحسنت خلال عام واحد فقط. فالزيادة موجودة دائما، عاما بعد عام، وكانت نتائج الأطفال المولودين عام ١٩٨٩ أفضل قليلا من نتائج الأطفال المولودين عام ١٩٨٨.»

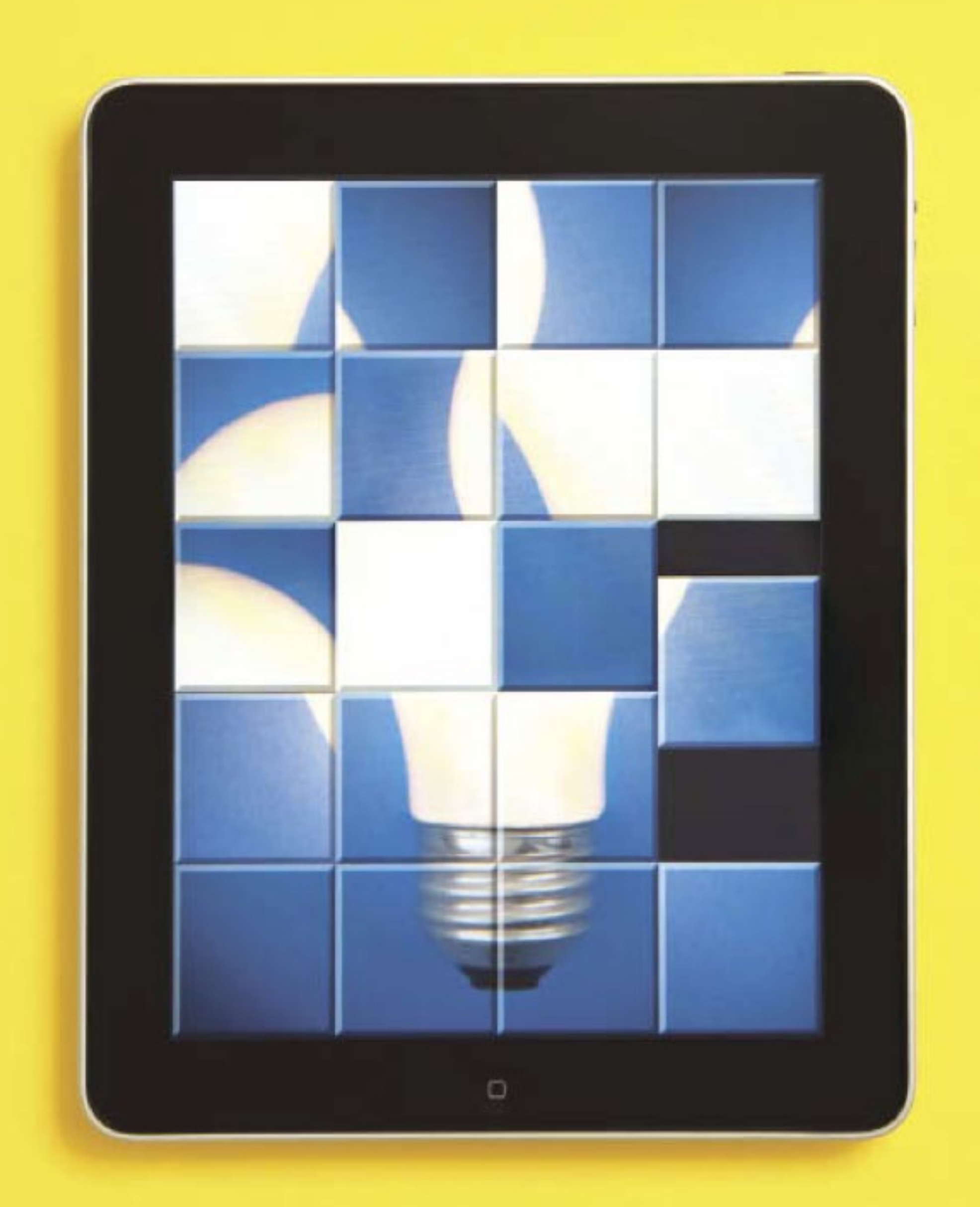
ومفعول <فلينّ> يعني أن الأطفال سوف يحققون في اختبارات الذكاء زيادة تساوي نحو عشر نقاط وسطيا مقارنة بما حقّقه آباؤهم. وإذا استمر مفعول <فلينّ>، فسوف يكون أحفادنا في نهاية هذا القرن أفضل منا بنحو ثلاثين نقطة، وهو الفرق نفسه بين مستوى الذكاء الوسطي ومستوى ذكاء أفضل اثنين في المئة من الناس. ولكن هل يمكن لهذا المفعول أن يستمر؟ هل سيتواصل هذا التوجه إلى ما لانهاية مؤديا إلى مستقبل يعج بأشخاص يُعدّون عباقرة وفقا لمعاييرنا الحالية؟ أم أن هناك حدا طبيعيا لمفعول <فلينّ> ولذكاء الإنسان؟

العقل الحديث

حالما أدرك الباحثون مفعول <فلينّ>، رأوا أن الدرجات المتصاعدة لمعدل الذكاء كانت جميعها تقريبا نتيجة للأداء المحسّن في أجزاء محدّدة من أكثر اختبارات الذكاء استعمالا. ويتضمن أحد هذه الاختبارات، وهو سلّم <وكسلر> للذكاء عند الأطفال(٣)، عدة مقاطع، كلّ منها يختبر مهارات مختلفة. قد يبدو أن من الطبيعي أن نتوقع تحسينات في الذكاء المتبلور(٤)، أي المعرفة المكتسبة في المدرسة. إلا أن ذلك لم يحصل. فمستويات الدرجات في المقاطع التي تقيس المهارات في الحساب والمفردات بقيت ثابتة عموما مع مرور الزمن.

ولكن أغلب زيادات معدل الذكاء تحصل في اختبارين جزئيين فقط مخصصين للمحاكمة التجريدية. يتعامل أحد هذين الاختبارين مع «التشابهات» ويطرح أسئلة من مثل: «ما وجه الشبه بين التفاحة والبرتقالة؟» ومن الإجابات عن هذا السؤال التي تحصل على درجات قليلة: «كلتاهما تؤكل». ومن الإجابات التي تحصل على درجات أعلى: «كلتاهما فاكهة»، لأنها إجابة تتجاوز الخواص المادية البسيطة. ويتكون الاختبار الجزئي الآخر من سلسلة أشكال هندسية مرتبطة فيما بينها بطريقة تجريدية، وعلى المشارك في الاختبار أن يحدد العلاقة بين الأشكال بصورة صحيحة.

ولكن من مفارقات مفعول <فلينّ> أن الاختبارات التي هي من هذا القبيل قد صُمّمت بحيث تكون قياسات عديمة



التواصل الشفهي والمكتوب، ومجرّدة عن الثقافة كليا، لما يسميه علماء النفس الذكاء الطلق(٥)، وهو المقدرة الفطرية على حل مشكلات غير مألوفة. ومع ذلك، يبيّن مفعول <فلينّ> بوضوح أن شيئا ما في المحيط يؤثر بصورة ملحوظة في مكوّنات الذكاء التي يفترض أنها مجرّدة عن الثقافة لدى البشر في جميع أنحاء العالم. إلا أن <A. ميتشم> و<M. فوكس> [عالما النفس في جامعة ولاية فلوريدا] اللذين قاما بأبحاث مفصّلة في الفروق بين أداء الأجيال في اختبارات الذكاء، يشكّان في أن تحسّن قدرتنا على التفكير التجريدي قد يكون مرتبطا بمرونة جديدة في طريقة إدراكنا للأشياء في العالم.

ويقول <ميتشم>: «إنّ «زرّ» البدء في شاشة الحاسوب مألوف للجميع، ولكنه ليس «زرا» بالمعنى الحرفي للكلمة. لقد حاولت أن أشرح لجدتي كيف تطفئ حاسوبها، فقلت: ‹حسنا، اضغطي زرّ البدء واختاري إيقاف التشغيل ›، فإذا بها تطرق بالفأرة على الشاشة.»

ويضيف <ميتشم> أنّ جدّته ليست غير ذكية، ولكنها نشأت في عالم كانت فيه الأزرار أزرارا، ولم تكن فيه الهواتف كاميرات تصوير بالتأكيد. ويجادل عدد من الباحثين، ومنهم <فلينّ>، بأن درجات معدل الذكاء المتزايد لا تعكس زيادة في قدرات أدمغتنا الأصلية. بل إن مفعول <فلينّ> يُظهر مدى الحداثة التي طرأت على عقولنا. وهذه الاختبارات تتطلب براعة في تمييز الأصناف المجردة وتكوين روابط فيما بينها. ويقول <فلينّ> إن تلك البراعة أصبحت أكثر فائدة خلال القرن الماضي منها في أي وقت آخر من تاريخ البشرية.

ويضيف <فلينّ>: «إذا كنت لا تصنّف الأفكار المجردة، وإذا لم تكن معتادا على استعمال المنطق، فإنك لن تستطيع السيطرة على العالم المعاصر فعلا.» «فقد أجرى <A. لوريا> [وهو عالم نفسٍ سوڤييتي] مقابلات رائعة مع فلاحين في روسيا القروية في عشرينات القرن العشرين. وقال لهم: «حيثما وجد ثلج دائما، وجدت دببة بيضاء. وهناك ثلج دائما في القطب الشمالي، فما لون الدببة هناك؟» وكان جوابهم أنهم لم يروا أبدا إلا دببة بنية. إنهم لم يروا مغزى في السؤال الافتراضي.»

لم يكن الفلاحون أغبياء، بل إن عالمهم تطلّب مهارات مختلفة فقط. ويقول <فلينّ>: «أعتقد أن أكثر الجوانب إثارة في ذلك، ليس حصولنا على نتائج أفضل في اختبارات معدل الذكاء، بل هو الضوء الجديد الذي يسلطه على ما أسمّيه تاريخ العقل في القرن العشرين.»

وسريعا يـؤدي تفسير سـاذج لمفعول <فلينّ> إلى بعض الاستنتاجات الغريبة. فمثلا، إن مجرد إجراء استقراء من الماضي لهذا المفعول يوحي ببساطة أن معدل ذكاء الشخص العادي في بريطانيا عام ١٩٠٠ كان يقارب ٧٠ وفقا لمقاييس عام ١٩٩٠. ويقول <D. هامبريك> [وهـو عالم النفس الاستعرافي لدى جامعة ولاية ميتشيجان]: «هذا يعني أنّ البريطاني العادي كان على حدود التخلف العقلي، ولم يكن قادرا على متابعة قوانين لعبة الكريكيت. وهذا طبعا غير معقول.»

ورُبّما لا نكون أكثر ذكاء من أسلافنا، ولكن ليس هناك من شك في أن عقولنا قد تغيرت. ويعتقد <فلينّ> أن التغيّر بدأ مع الثورة الصناعية التي نجم عنها تعليم للجميع وعائلات أصغر ومجتمع استعيض فيه عن الأعمال الزراعية بالأعمال التقنية والإدارية. وظهرت فئات حرفية جديدة: مهندسون وتقنيو كهرباء وصناعيون، وتطلبت وظائفهم التمكّن من المبادىء التجريدية. وقد صار التعليم بدوره دافعا إلى مزيد من الإبداع والتغيير الاجتماعي، مؤسّسا بذلك حلقة من التأثير الإيجابي المستمر المتبادل بين عقولنا وثقافة مبنية على التقانة تبدو أنها لن تنتهي قريبا.

ويتفق معظم الباحثين مع تقدير <فلينّ> العام بأنّ الثورة الصناعية والتقدم التقاني هما المسؤولان عن المفعول الذي سمّي باسمه. إلا أن تحديد الأسباب الدقيقة، التي يمكن أن تدفع تصميم السياسات التعليمية والاجتماعية إلى زيادة ذلك المفعول، كان صعبا. ولكن تحسينات التعليم تفسّر

بالتأكيد جزءا من التقدم. فحتى بداية القرن العشرين، لم يقضِ أغلب الأمريكيين أكثر من سبع سنوات في المدرسة. أما اليوم، فقد حصل نحو نصف عدد البالغين على شيء من التعليم العالي على الأقل.

ومع ذلك، لا يمكن للتعليم الرسمي أن يفسّر ما يحدث كليا. لقد افترض بعض الباحثين أن أغلب زيادات معدل الذكاء الملحوظة خلال القرن العشرين قد تكون حصيلة الزيادات في الطرف الأيسر من المنحني الجرسي للذكاء(٦) بين أولئك من ذوي الدرجات الدنيا، وهي محصّلة قد تكون نتيجة لفرص تعليمية أفضل على الأرجح. إلا أن دراسة حديثة راجع فيها <J. واي> و<M. بوتالاز> [من جامعة ديوك] بيانات عشرين عاما تضمنت نتائج اختبار ١,٧ مليون طالب من الصفوف الخامس والسادس والسابع، بيّنت أن درجات أفضل خمسة في المئة من الطلبة كانت تتزايد بتوافق تام مع مفعول <فلينّ>. ويقول <واي>: «لقد أصبح لدينا أول دليل على أن منحنى الذكاء في تصاعد بكامله(٧).» إن نتائج <واي> و<بوتالاز> توحي أنه نظرا إلى انزياح المنحني بأكمله، فإنه لا بد من أن تكون القوى الثقافية الكامنة وراء هذه الزيادة مؤثّرة في الجميع بالتساوي. وفي مقال قيد النشر الآن(٨)، يرى الباحثان أن انتشار ألعاب الڤيديو المعقدة، وحتى بعض البرامج التلفازية، قد يتيح أرضية تدريبية تعزّز مهارات حل المسائل اللازمة لاختبارات معدل الذكاء.

إلا أن <رودجرز>، يرى أن شمولية مفعول <فلينّ> تثبت عدم جدوى البحث عن سبب وحيد: «يجب أن تكون هناك أربعة أو خمسة أسباب مهيمنة، ويمكن لأي منها أن يواجه تقلبات الأسباب الأخرى.» ويعدّ تحسّن تغذية الأطفال، وتعميم التعليم، وتقلّص عدد أفراد الأسرة، وتأثير الأمهات المتعلمات في أطفالهن، من أكثر الأسباب المحتملة. ويقول <رودجرز>: «نظرا إلى بقاء سببين موجودين، حتى حينما طرأ شيء كالحرب العالمية الثانية التي أدت إلى اختفاء السببين الآخرين، فقد ظلّ مفعول <فلينّ> قائما.

مراجع للاستزادة

Flynn's Effect. Marguerite Holloway in Scientific American, .Vol. 280, No. 1, pages 37–38; January 1999

Solving the IQ Puzzle. James R. Flynn in Scientific American .Mind, Vol. 18, No. 5, pages 24–31; October 2007

Are We Getting Smarter? Rising IQ in the Twenty-First .Century. James R. Flynn. Cambridge University Press, 2012

(*) ?CAN WE KEEP GETTING SMARTER

(**) THE MODERN MIND

(***) A Certain Kind of Smart

(****) Mental Evolution

(١) Intelligence Quotient (IQ) Scores أو: علامات نسبة الذكاء. ومعدل الذكاء IQ هو نسبة العمر العقلي للشخص إلى عمره الزمني. أما العمر العقلي فهو درجة تعبّر عن تطوّر إدراك هذا الشخص وتتحدّد من خلال اختبارات ذكاء معتمدة.

(٢) Flynn effect

(٣) Wechsler Intelligence Scale for Children. اختبار ذكاء للأطفال الذين هم في عمر المدرسة، يختبر المعرفة والمقدرات ذات الطبيعة اللفظية (مفردات، استيعاب، تعليل حسابي شفهي). وكان عالم النفس الأمريكي <D. وكسلر> قد اقترح صيغة أولية لذلك الاختبار عام ١٩٣٩.

(٤) crystallized intelligence

(٥) fluid intelligence

(٦) the intelligence bell curve: منحنى الذكاء الجرسي هو منحنٍ له شكل الجرس (منحنى التوزّع الإحصائي الطبيعي)، ويمثّل محور الإحداثيات الأفقي فيه درجات معدل الذكاء الذي يأخذ قيما بين الصفر و ١٦٥ درجة، ويمثّل محور الإحداثيات العمودي فيه النسبة المئوية من عدد الناس. وحول قمة المنحني، حيث يساوي معدل الذكاء ٩٠-١٠٠ درجة، تقع أكبر نسبة مئوية من الناس وتساوي نحو ٢٥٪. وتتناقص تلك النسبة على طرفي المنحني، حيث تقع درجات معدل الذكاء العالية في اليمين، وتقع درجات

معدل الذكاء المنخفضة في اليسار. وفي أقصى اليمين، حيث يزيد معدل الذكاء على ١٣٠ درجة، ويقع العباقرة، ونسبتهم تساوي أقل من ٥٪ من الناس. وفي أقصى اليسار، حيث يقل معدل الذكاء عن ٢٠ درجة، يقع أولئك الذين يعانون صعوبات بالغة في التعلّم، ونسبتهم تقل عن ١٪ من الناس.

(٧) المقصود هو انزياح المنحني برمته إلى اليمين.

(٨) أي في الشهر ٢٠١٢/١١. (التحرير)

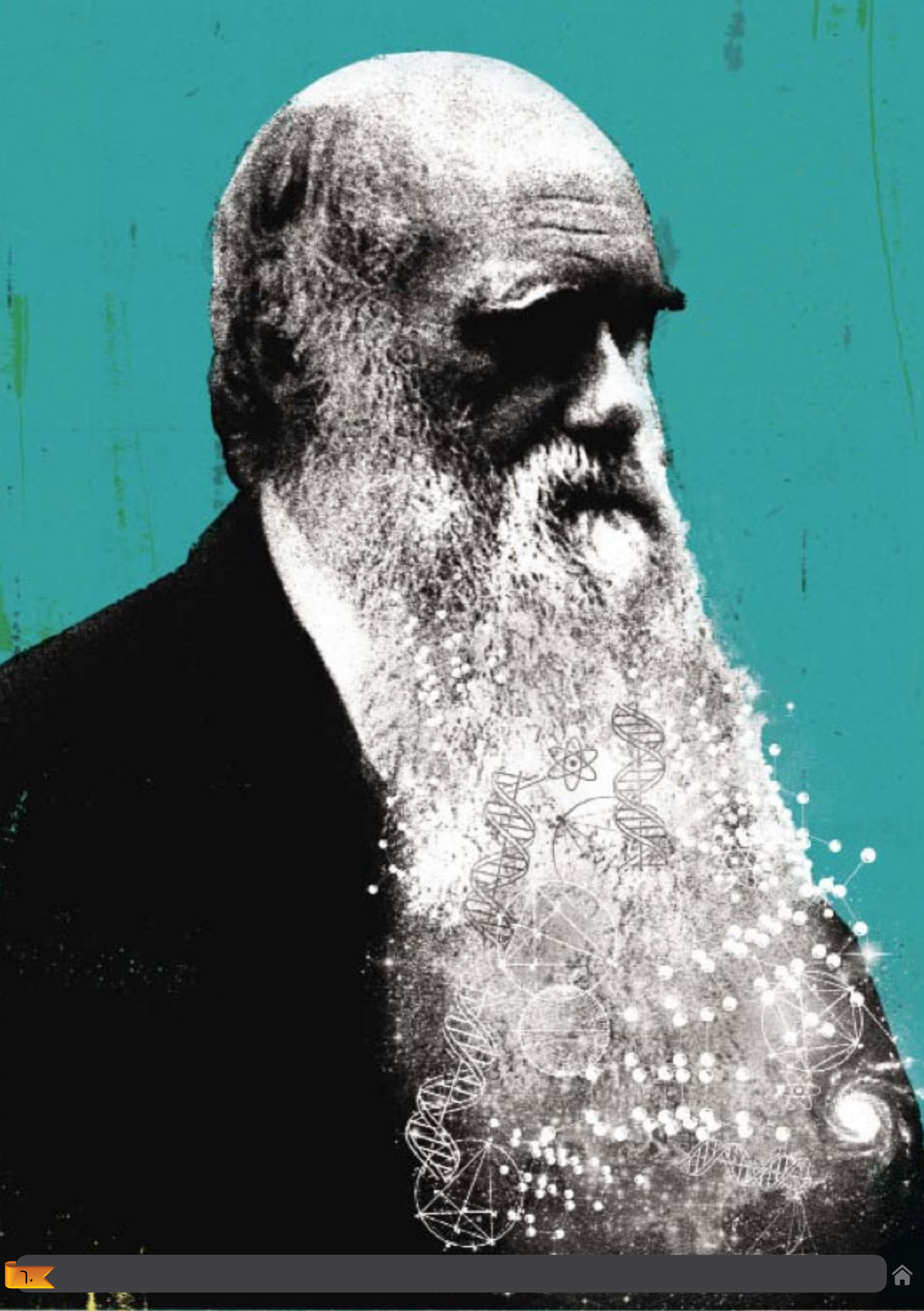
مترجمة لصالح الاصدار المعرّب من مجلة العلوم الأمريكية

المعروف بمجلة العلوم

المؤلف

Tim Folger

<T. فولجر> حائز على جائزة أفضل كاتب علوم، وهو محرّر سلسلة الكتب: «أفضل الكتب الأمريكية في العلوم والطبيعة The Best American Science and Nature Writing».



إن دوافعنا إلى تجاوز حدودنا التطوُّرية هي ما يميِّزنا من الحيوانات الأخرى.
<.M .R سابولسكي>

إذا جلستَ مع عالِم بالجنس البشري للتحدُّث عن طبيعة البشر، فعلى الأرجح ستسمع المقولة التالية الكثيرة التكرار: «حسنا، عليك أن تتذكَّر أن ٩٩ في المئة من التاريخ البشري انقضى في الساڤانَّا(١)، حيث عاشت مجموعات بدائية صغيرة من الصيادين والشَّوارين(٢)». إنها مقولة عفا عليها الزمن من مقولات العلم، ولكنها صحيحة. وبالفعل، فقد أنتجت تلك الملايين من السنين السالفة سماتنا المميَّزة، ومنها مشينا منتصبي القامة، وأدمغتنا الكبيرة على سبيل المثال. ولم تكن تلك الإبداعات التطوُّرية ذات الفائدة العظيمة طبعا من دون ثمن: آلام في الظهر بسبب وقوفنا على رجلين، ويأس وجودي(٣) ناجم عن التفكُّر والتأمُّل الذاتيين بسبب قشرتنا الدماغية الكبيرة. فكما هي الحال غالبا، ليس ثمة من شيء من دون مقابل.

وبتراكم التحديات الناجمة عن تلك المقايضات، أصبح العالم الذي اخترعناه، وخاصة في ضوء المستجدات العظيمة في الآونة الأخيرة، شديد الاختلاف عن ذاك الذي تكيَّفت معه أجسامنا وعقولنا. فطعام العشاء يأتي إليك (بفضل عمال توصيل البيتزا) بدلا من أن تسعى إليه على قدميك، وتدخل الفيسبوك للتواصل مع محبيك والمقربين منك بدلا من صرف جزء كبير من يومك معهم طوال حياتك. وعند هذا الحد ينتهي مفعول المقولة التي عفا عليها الزمن لعالِم الجنس البشري من أجل تفسير الحالة البشرية(٤).

إن سبب عدم التوافق هذا بين المحيط الذي تطوَّرنا لنعيش فيه، والحالات التي نواجهها في حقبتنا الحديثة يأتي من سمة مميِّزة أخرى لنوعنا، لعلها أهم سماتنا: رغبتنا الشديدة في الانطلاق إلى ما وراء الحدود التي فرضها التطوُّر علينا، وذلك من خلال ابتكار أدوات تجعلنا أسرع وأذكى وأطول عمرا. والعِلم هو واحدة من تلك الأدوات، وهو اختراع يتطلَّب منا الخروج من ذهنية العصر الحجري القائلة «بعدم تصديق إلا ما يُرى مباشرة»، كي نستطيع التغلب على العقبة التالية التي تعترضنا، سواء أكانت مرضا وبائيا أو تغيُّرا مناخيا. ويمكنك وصف تلك الأداة بأنها أفضل تعبير عن الحافز البشري الاستثنائي إلى الارتقاء إلى ما هو أفضل مما نحن عليه.

شذوذات بشرية(**)

لفهم الكيفية التي صنع بها الانتقاء الطبيعي(٥) الرئيسات الفريدة التي هي نحن، سوف نعود إلى أيام الساڤانَّا الغابرة. كانت تلك الأرض المكشوفة مختلفة كثيرا عن الغابات التي سمَّاها أسلافنا القردة مأوى. فأولا، كانت شمس الساڤانَّا أحر وأشد سطوعا، وثانيا، كان الطعام النباتي المغذي أكثر ندرة. ونتيجة لذلك، فقَدَ أسلافنا شعر أجسامهم الكثيف كي تبرد. وتضاءلت أضراسهم بعد تخليهم عن الطعام النباتي القاسي وتحوُّلهم إلى طعام تركَّز جزئيا في لحوم آكلات العشب، وصارت تلك الأضراس الآن عديمة الفائدة وذات سطوح تكاد لا تطحن.

وفي الوقت نفسه، جعل التناول الانتقائي للغذاء، بسبب ندرته، أجسام أسلافنا قليلة استهلاك الطاقة وجيدة الخزن للكالوريات calories. أما الآن، وقد ورثنا آلية الاستقلاب نفسها، فقد أصبحنا نسعى وراء سندويشات الهامبُرجر على الرغم من تحوُّل داء السكري إلى داء عالمي. أو انظر إلى كيف أن جهازنا المناعي قد تطوَّر في عالم كاد يخلو من أشخاص يحملون مُمْرِضات (عوامل مُمرضة pathogens) حقيقية، في حين أنك إذا عطستَ الآن بالقرب من شخص في مطار، فإن ڤيروسات أنفك سوف تكون طليقة حرة في ١٢ منطقة زمنية في اليوم التالي.

وشذوذاتنا البشرية وفيرة في الجوانب السلوكية أيضا. فوفق معايير تصنيف الرئيسات، نحن لسنا أسماكا ولا طيورا من نواح كثيرة. وثمة مثال لافت هنا. تُصنَّف الرئيسات عموما في نمطين مختلفين: الأول هو نمط الأجناس القائمة على التزاوج، بمعنى أن الإناث والذكور يكوِّنون أزواجا مستقرة ذات ديمومة طويلة، وتمارس الـزواج الاجتماعي والجنسي مع قرين واحد فقط. ويقوم الذكور في هذا التزاوج ببعض، أو حتى بمعظم أعمال العناية بالأطفال، ويتصف إناث وذكور هذه الأنواع بالحجم نفسه تقريبا ويَبْدون متشابهين جدا. ويبدو أن كثيرا من القردة

الصغيرة النحيفة وقردة أمريكا الجنوبية هي من هذا النمط. والأجناس الاستعراضية(٦) التي تتَّخذ المنحى المعاكس: تقوم الإناث بجميع شؤون رعاية الأطفال وتتصف الذكور بأنها أكبر حجما بكثير من الإناث وتقوم بجميع أنواع الاستعراضات الطاووسية المثيرة المبتذلة، بوجوهها الملوَّنة وظهورها الفضية. وتقضي هذه الذكور الاستعراضية نسبة كبيرة من أوقاتها منغمسة في طقوس عدوانية. وإلى جانب هذين النوعين، هناك البشر الذين لا ينتمون إلى أي منهما بجميع المعايير التشريحية والوظيفية الحيوية وحتى الجينية، بل يقعون في موقع محيِّر فيما بينهما.

ومن ناحية سلوكية أخرى، يُعتبر البشر مثالا نموذجيا للرئيسات: فنحن اجتماعيون جدا، وأجمل أنواع الذكاء لدينا هو الأنواع الاجتماعية. وقد نوجد، نحن الرئيسات، في ظروف يُربكنا فيها مثال رياضياتي تجريدي للتعدِّي(٧)، مع أنه من السهل علينا أن نستنتج أنه إذا هيمن شخص A على شخص آخر B، وهيمن B على C، فإن من الأفضل لـ C أن ينحني بخضوع عندما يرى A. ويمكننا اتباع سيناريوهات معقدة جدا من التأثيرات الاجتماعية المتبادلة واستنتاج إنْ كان عقدٌ اجتماعي قد انتُهك (ونحن أمهر في كشف المخادع من كشف المغالي في كرمه.) يضاف إلى ذلك أنه ليس لنا نظير في تمييز الوجوه، حتى إنه توجد في منطقة من لحاء أدمغتنا تلافيفُ مغزلية متخصِّصة بذلك.

إن المزايا الانتقائية لنشوء الدماغ الاجتماعي(٨) جلية وواضحة. وقد عبَّدت الطريق أمامنا لتطوير مقدرتنا على قراءة حالات الآخرين الذهنية، والتميُّز في مناوراتنا الاجتماعية، وخداع الآخرين ببراعة، واجتذاب الأقران والمناصرين. وقد أصبح مستوى الذكاء الاجتماعي(٩) لدى الشبان الأمريكيين يمثِّل مؤشِّرا على النجاح في عالم الأعمال أفضل من نتائج اختبار القبول الجامعي(١٠).

وبالفعل، عندما يأتي الأمر إلى الذكاء الاجتماعي عند الرئيسات، يحتل البشر مركز الصدارة. وفرضية الدماغ الاجتماعي المطروحة في علم تطوُّر الرئيسات مبنية على حقيقة أن نسبة الدماغ المكرَّسة للِّحاء الجديد(١١) لدى الجنس الرئيس مترابطة بالحجم الوسطي للمجموعة الاجتماعية لذلك الجنس. وهذا الترابط أشد وضوحا (وفقا لحجوم المجموعات الموجودة في المجتمعات المعهودة) لدى البشر منه لدى الرئيسات الأخرى. وبكلمات أخرى، فقد تطوَّر جزء الدماغ البشري الأكثر تميُّزا لدى الرئيسات مع الحاجة إلى الاستمرار بمعرفة أولئك الذين ليسوا على وفاق، والذين يُخفقون كليا في هرم السيطرة، والأزواج الذين يعبثون خلسة هنا وهناك في الوقت الذي يجب ألا يفعلوا ذلك فيه.

وعلى غرار أجسامنا، فإن أدمغتنا وتصرفاتنا، التي نُحتت في ماضينا الغابر، أيام الصيادين والشوَّارين، يجب أن تتسع أيضا لحاضرنا الشديد الاختلاف. فنحن نستطيع العيش آلاف الأميال بعيدا عن أمكنة ولادتنا، ويمكننا قتل شخص من دون أن نكون قد رأينا وجهه من قبل. ونحن نلتقي بأناس ينتظرون الدخول إلى مدينة ألعاب ديزني يفوق عددهم عدد الناس الذين التقى بهم أسلافنا طوال حياتهم. يا إلهي، يمكننا حتى النظر إلى صورة شخص ما والشعور بالرغبة في ممارسة الجنس على الرغم من عدم معرفتنا بالرائحة التي تنطلق من صاحب أو صاحبة الصورة - كم هو غريب ذلك على عالَم الثدييات؟

ما وراء الحدود

إن حقيقة أننا أوجدنا هذا العالم المختلف كليا عن العالم القديم وأننا نزدهر فيه، تُثبِت نقطة مهمة هي أن من طبيعتنا ألاّ نكون مقيَّدين من قبل طبيعتنا. فتجاوزنا للحدود ليس مستغربا. والعلم هو واحد من أغرب وأحدث المجالات التي نتحدى فيها حدود الرئيسات البشرية(١٢). ومن بعض أكثر الأوجه جوهرية للتغيُّر في عالمنا نواتجُ العلم المباشرة التي يتجلَّى فيها التحدي بوضوح. انظر فقط إلى أولئك الأوائل من أشباه الاختصاصيين بعلم الوراثة(١٣) الذين نجحوا في ترويض الحيوانات البرية وفي استنبات الحبوب والمزروعات، ذلك الابتكار الذي وفَّر كثيرا من الغذاء، ولكنه اليوم يهدِّد بالقضاء على موارد كوكبنا الطبيعية.

وفي مستوى أكثر تجريدا، يختبر العلم إحساسنا بما هو

المعهود(١٤)، وبما نعتبره أفضل مما هو جيد. إنه يتحدى إحساسنا بمن نكون. وبفضل العلم، يستمر العمر الوسطي للإنسان بالتزايد، ويستمر طوله الوسطي بالنمو، وتتحسَّن درجاتنا في اختبارات الذكاء. وبفضل العلم، فإن كل رقم قياسي عالمي لمناسبة رياضية معرض للتجاوز.

وبدفع العلم لآفاق تلك المجالات بعيدا إلى الأمام، من المدهش حقا هو ضآلة التغيير الذي أحدثته تلك التغيُّرات فينا. فمهما كان طول العمر الذي نتوقَّع أن نعيشه، فإننا سوف نموت، وسوف يبقى ثمة سبب رئيسي للموت، وسوف نستمر بالشعور بأن أعزاءنا قد رحلوا عنا إلى الآخرة باكرا. ولكن عندما يتعلق الأمر بازدياد متوسط ذكاء البشر وأطوالهم ونتائجهم الرياضية، فثمة مشكلة: مَن يهتم بالمتوسط؟ فنحن كأفراد، يريد كل منا أن يكون أفضل من الآخرين. ودماغنا استفزازي ومُقارِن وأكثر اهتماما بالتباينات من المطْلَقات contrasts. وتنشأ تلك الحالة من منظومة حواسنا التي لا تُخبِرنا عادة عن جودة محرِّضاتها، بل عن جودة تلك المحرِّضات بالنسبة إلى محرِّضات أخرى تحيط بها. وعلى سبيل المثال، تحتوي شبكية العين على خلايا لا تنفعل بلون ما كانفعالها بلون بالقرب من اللون «المناقض» له (الأحمر في مقابل الأخضر، مثلا). ومع أننا جميعا نرغب في أن نكون أذكى، فإننا على الأرجح نريد أن نكون أذكى من جيراننا. والشيء نفسه بالنسبة إلى الرياضيين؛ وهذا ما يطرح تساؤلا طالما شغل الرئيسات البشرية: كم يجب أن تكون سرعتك وأنت تعدو كي تهرب من أسد؟ والجواب هو دائما: أسرع من الشخص الذي بجانبك.

ولكن العلم يتطلَّب منا غالبا أن نوسِّع آفاقنا حينما يتعلق الأمر بأنواع الأسئلة التي نطرحها. إنني أرى أن ثمة أربعة أنواع خاصة من تلك الأسئلة. يتعلق الأول بطبيعة العلم غير الاجتماعية asocial غالبا. وأنا لا أقصد بذلك الأعمال المنعزلة في بعض أنواع الاستقصاءات العلمية التي يعمل بها العالِم وحيدا عند الساعة الثالثة صباحا. بل أعني أن العلم غالبا ما يتطلَّب منا أن نهتم فعلا بأشياء جامدة. وبلا ريب ثمة كثير من الاستثناءات من هذه القاعدة، فعلماء الرئيسات يجلسون ويثرثرون في الليل عن نقاط ضعف قِرَدتهم وهفواتها. وقد اعتاد عالم الأحافير <.Lليكي> على وصف الجمجمة الأحفورية المفضلة لديه بـ «الابن العزيز». ومع ذلك فإن بعض مجالات العلم تهتم بأشياء جامدة جدا، ومن أمثلة ذلك أن علماء الفيزياء الفلكية يحاولون اكتشاف كواكب في منظومات شمسية أخرى. والعلم يتطلَّب غالبا من دماغنا الاجتماعي البشري أن يكون شغوفا بمواضيع ضئيلة الاحتمال.

والعلم يوسّع آفاقنا بطريقة أخرى عندما ننظر إلى أشياء من قبيل الميكانيك الكمومي والتقانة النانوية وفيزياء الجسيمات(١٥)، التي تتطلَّب منا أن نعتقد بأشياء لا نستطيع رؤيتها. وقد أمضيت سنواتي الجامعية وأنا أنقل سوائل من أنبوب اختبار إلى آخر وأقيس مستويات أشياء من قبيل الهرمونات والمرسلات العصبونية(١٦). ولو توقفت حينئذ وفكَّرت بذلك، لوجدت أن أشياء من هذا القبيل هي فعلا أشياء غير معقولة. وعدم المعقولية تلك هي سبب أن كثيرا منا - نحن العلماء - الذين يعملون في المختبرات ويقيسون أو يستنسخون أو يحقنون أشياء غير مرئية، يُستثار جدا عندما ينكب على اللعب بالجليد الجاف(١٧).

ويمكن للعلم أن يوسِّع بطريقة ثالثة آفاق قبولنا، بوصفنا من الرئيسات البشرية، بالأمور من دون تساؤل، وذلك من خلال طبيعة الأسئلة التي يمكن أن يطرحها. ليس لنا نظير في مملكة الحيوانات عندما يتعلق الأمر بتذكُّر الماضي البعيد، أو عندما يتعلق الأمر بالإحساس بالمستقبل. إلا أن ثمة حدودا لتلكالمهارات. ففيما مضى، قد يكون أسلافنا من الصيادين والشوَّارين قد تذكَّروا أشياء قالتها لهم جدَّتهم وكانت جدَّتها قد قالتها لها، أو ربما يكونون قد تخيَّلوا حياة الجيل أو الجيلين اللذين عاشا قبلهم. إلا أن العلم يدفعنا اليوم أحيانا نحو التفكير في سيرورات تستغرق مددا زمنية غير مسبوقة. متى سوف يأتي العصر الجليدي التالي؟ هل سوف تتوحَّد جوندوانا(١٨) مرة أخرى؟ هل سوف تحكُمنا الصراصير بعد مليون سنة؟

إن كل شيء يخص أدمغة الرئيسات البشرية، التي نحن منها، يعترض على فكرة أن ثمة سيرورات تستغرق تلك المدد الطويلة، أو أن سيرورات من ذلك القبيل يمكن أن تكون ذات أهمية.

فنحن نتصف، مع الرئيسات الأخرى، بالرضا الظرفي الآني الشديد(١٩): إن الحصول على عشرة دولارات أو عشر حبات من طعام القردة، هو الآن أفضل كثيرا من الحصول على أحد عشر منها غدا. ومسارات جزاء الدوبامين(٢٠) في أدمغتنا، تومِض أثناء التصوير الدماغي عندما نحصل على مكافأة فورية مفاجئة. ويبدو أن معظمنا يُفضِّل الحصول على نصف قطعة من الحلوى البائتة في الأسبوع المقبل على الانتظار ألف سنة لربح رهان على فرضية مفتاحية في علم صفائح القشرة الأرضية(٢١).

لذا، ثمة أسئلة علمية توسِّع آفاقنا بطرائق جوهرية أيضا، وهي ألغاز تجريدية مذهلة: هل ثمة إرادة حرة؟ ما هي آلية الوعي؟ هل ثمة أشياء من المستحيل معرفتها؟

وإنه لمن المغري أن ننزلق إلى الفكرة البسيطة التي تنطوي على أن عقولنا التي تعود إلى العصر الحجري تستسلم أمام تحديات من هذا النوع وتتركها للآلهة للتفكُّر فيها. وتكمن هذه المشكلة في النزعة البشرية نحو تصور آلهة على هيئتنا (ومن الأمثلة الجيدة على ذلك أن الأفراد المتديِّنين المصابين بالتوحُّد غالبا ما تكون لديهم صورة لإله غير اجتماعي لا همَّ له سوى منع الذرات من التطاير والابتعاد عن بعضها.) وعبر تاريخ اختراع البشر لآلهة لهم، امتلكت قلة من تلك الآلهة مقدرة كبيرة على التجريد. وبدلا من ذلك، امتلكت الشهية المعهودة. فلم يكن من بين تلك الآلهة من هو مهتم باجترار مقولة <جودِل>(٢٢) عن معنى المعرفة، أو برمي أحجار النرد مع <أينشتاين>(٢٣) (أو بعدم رميها، وهو ما حصل.) بل إن اهتمامها تركَّز في تقديم أكبر ثور أضحية إليها، وفي مضاجعة أجمل حوريات الغابة.

إن السيرورة العلمية نفسها هي التي تتحدّى حدودنا الأساسية بوصفنا رئيسات بشرية. إنها تتطلَّب منا العناية الشديدة بأشياء صغيرة، وحتى غير مرئية، أشياء لا تتنفس ولا تتحرك، وبعيدة جدا عنا في الزمان والمكان. وتشجِّعنا أيضا السيرورة العلمية على مواضيع تُخرِج الإلهين ثور وبعل عن أطوارهما. إنها من أكثر الأشياء التي خرجنا بها تحديا لنا. ولا عجب في أن جميع إنذارات كشف الغباء قد انطفأت عندما ضُبطنا ونحن نقرأ مجلة من قبيل مجلة العلوم الأمريكية في أيام المدرسة الإعدادية. إن هذه المغامرة في القراءة والتفكير والاهتمام بالعلم ليست لأولئك من ضعاف القلوب، فنحن قد تكيَّفنا على نحو أفضل لمواجهة القطط الحادة الأسنان، ونحن هنا الآن لنعيد اختراع العالم ونجتهد لتحسين أحوالنا المعيشية بطرح سؤال علمي تلو آخر. إنها طبيعتنا البشرية.

باختصار

إن كثيرا من التحدِّيات التي نواجهها اليوم، نحن البشر، هي نتيجة لعدم التوافق بين البيئة التي تكيَّف أسلافنا معها عبر ملايين السنين، وبين العالم الذي نعيش فيه اليوم.

إلا أن حالة عدم التوافق هذه هي نفسها نتيجة لخاصية بشرية فريدة: رغبتنا في توسيع أنفسنا إلى ما وراء الحدود التي وضعها التطوُّر لنا.

والعلم هو واحدة من الأدوات التي يستعملها البشر لتحقيق ذلك الهدف المتمثِّل بتوسيع قدراتنا المادية والذهنية.



لتحميل المجلة

issuu

www.issuu.com/i-think-magazine

Mediafire

www.mediafire.com/?odd3nd897q2ne

Box

www.box.com/s/zhvvajbeglqpq2enaqzp

facebook

www.facebook.com/I.Think.Magazine

Web

www.ithinkmag.net

www.i-think-magazine.blogspot.com

شكراً...عيشوا سعداء

17

أنا أفكر

iThink

magazine مجلة

لأن اليقين حماقة

